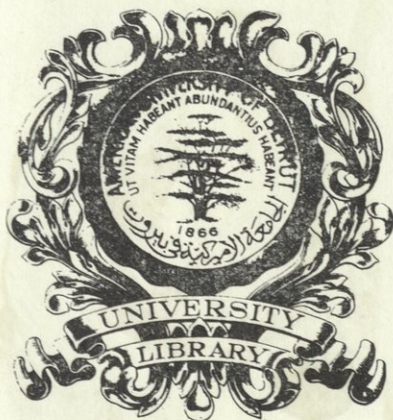


کاتولوس

گرامیات کاتولوس

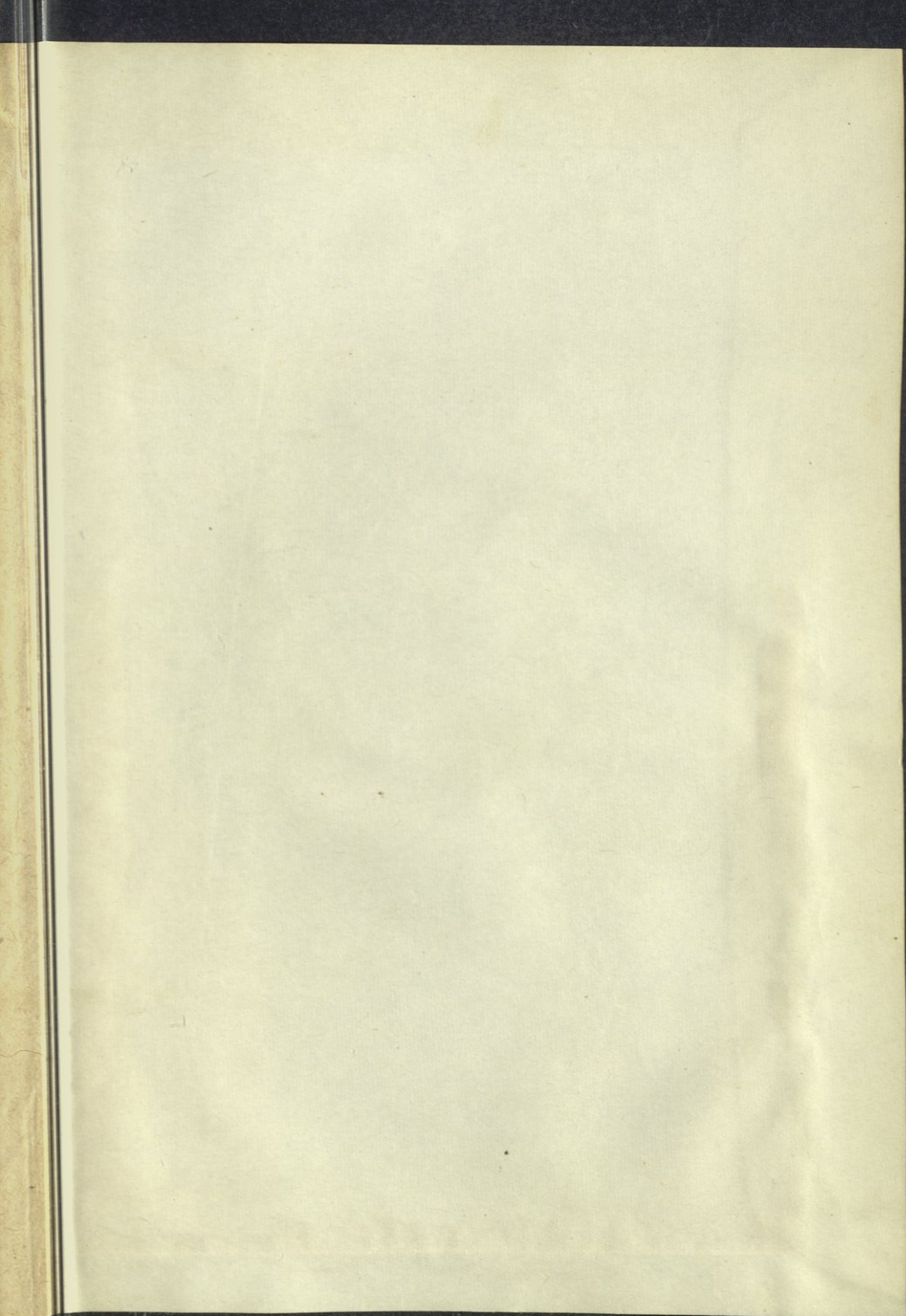
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجليد صالح الدقر
٢٢٩٧٧ تلفون

A.U.B. LIBRARY





غراميش كاتالوجوس

874.2

C369gA

ق. ١ فقطحل شعراء الغزل عند الرومان

ترجمة

أمين سلايم

ماچستير في الآداب اللاتينية واليونانية

الطبعة الأولى ١٩٥٥

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

مطبعة الاعتماد بصرى لبنان ٤٥٥٤٥
شارع حسن الأبر - عتايق

فهرست الكتاب

صفحة

٧	إهداء
٥	مقدمة
١	الباب الأول : حياة كاتولوس
١٦	الباب الثاني : غرام كاتولوس بليسييا
٤٥	الباب الثالث : أشعار كاتولوس
٥٥	الباب الرابع : قصائد كاتولوس في حب ليسيبيا
٩٦	الباب الخامس : غراميات كاتولوس الأخرى
١١٠	الباب السادس : مختارات من قصائد كاتولوس

إهداء

أيها الملاك الطاهر
أيها القلب العامر
أيها الجمال السافر
أيها العصفور الطائر
أيها الروح الحائر
خُذْ هذا مني
فهو منك
وهو إليك .
فلئن تجدد فيه نداء
فاسمك في صدره نداء ،
ولئن تجدد فيه ضياء
فاسمك في قلبه نور ،
ولئن تجدد فيه سناء
فاسمك في ذيله هلال .

مقدمة

كانت إحدى أمنيّاتي أن أتناول أشعار «كاتولوس» ، ذلك
المتغزل الروماني ، وأعرّف بها القارئ العربي . . . كانت أشعار هذا
الشاعر الشاب تشير في شتى العواطف فاتخذتها تارة عزائى وطوراً
غذائى . . . كانت بساطتها تعجبنى ، وطرافتها تسحرنى ، وندرتها
تسبينى ، ومضمونها يفتك بأعصابى فيطربنى حيناً وحيناً يبكينى . .
وكثيراً ما كنت أنخيل كاتولوس هذا ، كاتب تلك الأشعار الجميلة ،
فيصوره لى خيالى شاباً مليح الوجه ، واسع العينين ، رضى النفس ،
طيب السريرة ، عكس ما حملته لنا الكتب بين دفوفها فى وصفه ،
ووصف دعارته وإدمانه على الشراب . . . ونعته بما قد يشتهى
ولا يشتهى من ضروب الصفات . . .

لقد أحبيت كاتولوس هذا من أشعاره ، ولا أخالى مبالغاً
لو قلت إننى تمنيت الحياة فى عصره لأحظى بعشرته وأنعم بمجالسته
واستمع بعذب حديثه . . .

فأى قسوة هذه قد قساها القدر يوم أن حكم على كاتولوس ،
ذلك الشاعر الحبيب ، بالموت المبكر وهو فى عنفوان الشباب . . .
فخرمنا بذلك حلاوة أشعاره ومنعنا ظلاوة غزلياته ، وسلبنا هذا
الروح الشاعرى النادر وذلك الفكر السليم الناضج وذاك العقل
السديد المبدع ! ! ؟ فلو أن كاتولوس قد عاش طويلاً ، فأى إلهام

جديد كان سينفتق عنه ذهنه وأى إبداع مبتكر كانت الأجيال
ستتمسّدق به ، وأى كنز من الشعر هذا الذى كنا سمنحطى بقراءته
اليوم . . ١١٩

إن قارىء كاتولوس سيلبس من أول وهلة عبقرية هذا الشاعر
وسيدرك من فور مقدرته الفائقة فى التعبير والتصوير ، كما ستروقه
عواطفه المتأججة وأحاسيسه الملهبة التى تنبض بها أشعاره الغزلية
حتى لتكاد تزيج لنا الستار عما يحيش بصدر هذا الشاعر من اضطرابات
عاطفية كانت تهز كيانه هزاً . . .

ولقد بلغ بى حجب المنظومنى كاتولوس عن عصفور حبيته أنى
اشتريت قفصاً به عصفور وجعلت العصفور موضع دراستى لحين
من الزمان . . . كنت أتأمل العصفور تارة وهو يغرد وطوراً وهو
يقفز هنا وهناك فى أرجاء القفص . وكنت أحياناً أدخل يدي فى
القفص وأدع العصفور يقف بين أصابعى ويطير حول يدي حتى
صارت يدي تأنس لوقفات العصفور عليها وصار العصفور يطمئن
إلى يدي . . . إلى أن اجتاحتني الشعور بأن العصفور قد عرف
شخصى خير معرفة وأنا نبادل بعضنا حباً بحب مثلما كانت حبيبة
كاتولوس تبادل عصفورها الحب ويبادلها هو بحب مماثل . . .

كان لهذا الشعور أثره الكبير عندما قمت بترجمة هاتين المنظومتين
بالذات . . . فلم أكن لأحس بأننى أنقل كلمات كاتولوس اللاتينية

إلى ألفاظ عربية ، بل كنت أحس تماماً بأننى الشاعر نفسه يكتب
المنظومين من جديد باللغة العربية بعين الإحساس الذى كان قد اعتور
كاتولوس يوم حاول أن يكتب قصيدته عن العصفور العجيب الذى
هو عصفور حبيبته . . . وقد لا يصدقنى القارئ لو قلت له إننى
فوجئت فى أثناء ترجمتى لهتين القصيدتين بموت العصفور ، تماماً
كما مات عصفور الحبيبة . . . وإذ رأيت القفص وقد ركدت فيه
الحياة بوفاة العصفور ، أحسست بوجود غريب وبجزن دفين ،
وكادت عيني تدمع كما أدمعت عيون حبيبة كاتولوس يوم مات
عصفورها العزيز . . .

وأحسب أن سر الجمال الذى تنبض به أشعار كاتولوس ليس
فقط ما فيه من قدرة فائقة على إثارة تباريح قلب أى متيم غرقان فى
بحار الحب ، ولكن ما فيه أيضاً من قدرة على مناجاة القلوب عامة ما عمر
منها بالحب وما قفر منها من كل خلجة من خلجاته . . . فما أقدره
حقاً على تحريك القلوب التى قدت من صخر ، والتى لم تنعم يوماً بحب
ولم تشق أبداً بلوا عجه . . .

فكاتولوس ذلك الشاعر الشاب ، قد انطلق فى أشعاره إنطلاقاً
حرّاً جعله أبعد ما يكون من التحفظ أو الإباحية ، وأقرب ما يكون
من الشاعر المفطور على السجية الحرة الأبية . . . تراه قد سطر مشاعره
كما أحس بها دون خوف أو خجل ، وعرض مشكلة حبه كما ألمت

به دون تحفظ أو مواربة ، وصوّر خليجات قلبه خليجة بعد خليجة دون حياء أو تردد ، وتناول سعادة حبه غير ناس ما لاقاه فيه من مرارة وشقاء . وهكذا نجح شاعرنا في تخليد اسم محبوبته على صفحات التاريخ بتلك الأبيات البسيطة القوية ، القصيرة العميقة ، وتلك القصائد النادرة في سموها ، الرائعة في مضمونها ، المحكمة في ألفاظها ، الملتزمة في عواطفها ، المنتقاة في قوافيها ، المبتكرة في أوزانها ، الفريدة في غزلياتها . . .

ولم يكن كاتولوس بالشاعر الذي يمتاز بصدق العاطفة وعمق المشاعر فحسب بل كان يمتاز أيضاً بخفة الظل وحلاوة الروح وملاحة النكتة وطرافة الفكرة . . . حتى يمكننا أن نلقبه أيضاً بالشاعر المرح الخفيف الظل .

ولا يسعني الآن وأنا أنقل أشعار كاتولوس إلا أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى أنني لم أنقل جميع أشعار كاتولوس ، بل اكتفيت بهذا القدر الذي يكشف لنا أولاً وقبل كل شيء عن قصة غرامه بليسيا ، والمراحل المختلفة التي مر بها هذا الحب الجارف الذي كان مدار حديث الناس في العصر الذي عاش فيه الشاعر . . . ثم ماعدا ذلك من القصائد التي تميظ اللثام عن الغراميات الأخرى التي تورط فيها كاتولوس مع فتيات أخريات وهي لا تقل في طرافتها وجماها عن غرامه الكبير بليسيا .

ولقد شجعتني بساطة بعض قصائد الشاعر الأخرى على نقلها
إلى العربية كي أتيح للقارئ الشرقي أن يلمس عن كثب ما يتمتع به
هذا الشاعر الخالد من روح خفيف ومزاح طريف وذوق سليم في
انتقاء المواضيع التي يكتب فيها . .

واليوم إذ تتحقق أمنيته فأرى أشعاره كأنه لو سخر الغرامية منشورة
على الملأ . . . يسعدني حقاً أن تلقى هذه الأشعار عند القراء
الأعزاء ما لقيته عندي من مزيد تقدير وإعجاب . .
أمين سلامة

جاردن ستي في ١٠ يوليو ١٩٥٥

الباب الأول

حياة كاتولوس

لعب الحظ دوراً رئيسياً في تخليد أشعار كاتولوس ، ذلك الشاعر الروماني الذي اشتهر بغزلياته ، ومن ثم في معرفة بعض ما يجب معرفته عن حياته . فلو أن الحظ لم يحرص على صيانة النسخة الخطية الوحيدة لأشعار كاتولوس ولم يضعها في يد أحد نساخي فيرونا Verona ، لما انتشلها هذا الأخير من الضياع والاندثار بعد أن طال الأمد على فقدانها حتى كاد المهتمون بالأدب الروماني القديم يأسون من العثور عليها . فلو لم يرق الحظ بهذا الجميل البين ، وهذه الخدمة الجليلة والمساعدة القيمة ، لحرمتنا من عبقرية هذا الشاعر الغزلي الخفيف الظل ، ولفوت علينا متعة الاطلاع على هذا اللون الفريد من العشق الروماني القديم ، الذي انفردت به أشعار كاتولوس والذي قلما استطاع شاعر قبله أو بعده أن ينظمه بهذه البراعة ، وتلك البساطة ، أو هذا الجمال الشعري الساحر الجذاب . . .

بيد أن أشعار كاتولوس ، وإن كانت تميظ اللثام عن حياة اللهو ودنيا الغرام إبان تلك العصور الخالية ، إلا أنها تزيج الستار أيضاً

عن الحياة العامة في تلك الحقبة التي عاشت فيها روما قبل أن تتدثر
بدثار الإمبراطورية القشيب ، مصورةً لنا بخيال فتي جمهورى عرك
الحياة كشاب نزق وكشاعر ملهم ملتهب الأحاسيس .

وجدير بالاعتبار أنه يجب علينا ألا ننسى أصدقاء كاتولوس
الآخرين الذين احترفوا مهنة الكتابة ، كما يجب ألا يغيب عن بالنا
ما تعرضت له كتاباتهم وأعمالهم الأدبية من الموت المبكر ، ومن ثم
نستطيع أن نستبين فضل القدر العظيم علينا وعلى أجيالنا ، بأن قيّد
سبيل النجاة لكاتولوس وحده من بين حشد كتاب عصره الكثرين
فأبقاه لنا كخير قبس تستضيء به الأجيال للوقوف على أدق تفاصيل
الحياة العامة في خضم العالم الذى عاش فيه .

فمن يكون كاتولوس هذا ؟ ومن أى بيت انحدر ؟ وأى حياة
تلك التى عاشها ؟ وكيف خلقت منه الأيام ذلك الشاعر المرفف
الأحاسيس النقي السريرة ؟

لم يولد كاتولوس في روما ولا في مدينة عظيمة من مدن إيطاليا
المشهورة ، ولكن في بلدة صغيرة بأحد تخوم إيطاليا تسمى فيرونا ،
وكانت ملتقى عدة طرق ، منها طريق جنوبي إلى بديراكوم
Bedriacum ومانتوا Mantua ، وطريق آخر شرقى صوب
أكويليا Aquileia والبحر الإدرىاتى ، وثالث غربى إلى ميديولانوم
Mediolanum وبلاد الغال ومن ثم كانت فيرونا تتمتع

بمركز حيوى حربى تصبو إلى احتلاله نفوس الجيوش وتطمع
عيون القواد فى السيطرة عليه .

وما يعطينا فى بحثنا هذا لا ينحصر فى أهمية مركز فيرونا الحربى
بقدر ما ينصب على أهمية هذه البلدة كمسقط رأس الشاعر
كاتولوس ، وكبقعة قد حبتها الأقدار بقسط وافر من روعة المناظر
الطبيعية وسحر الطبيعة الفتان . فما لا ريب فيه أن فيرونا تفوق
شقى بلدان إيطاليا فى هذا المضمار بالذات . . . وفى هذا يقول المستر
هويلز Mr. W. D. Howells : « ما من مدينة تتمتع ببقعة أروع
جمالاً وأبهى رواءً من تلك التى تحتلها فيرونا السعيدة ، تلك البلدة
التي تنفس من هواء الجبال النقى ، والتي تلفها الثلوج فى غلالة ناصعة
البياض شتاءً ، وتكسوها فى الصيف حقول الكروم الخضراء
ذات العنقايد القرمزية الشهية . وفضلاً عن ذلك فإنها غنية
دائماً بالمرمر ، »

ويجب ألا يتطرق إلى الذهن أن هويلز قد آثر المغالاة فى
وصفه لفيرونا ، بل حسبك أن تأخذ كلامه على علاقته ، لأنه
لم يطلب به غير إرضاء الحقيقة وتقرير الواقع . . .

وليست فيرونا جميلة فى حد ذاتها فتخلب عقول مشاهديها ،
فحسب ، بل تقع أيضاً على مسافة قريبة من جارداد Garda بحيرة
بيناكوس Benacus الرومانية التى تعتبر بحق من أجمل بحيرات

إيطاليا وأكثرها فتنة للعين . ومن ثم فإن البطاح التي كانت تحيط
بثيرونا في العصور الرومانية الغابرة ، لا تختلف كثيراً أو قليلاً
عما هي عليه الآن وكلها تجعل من ثيرونا ذلك الفردوس
المشرق من أشجار الكروم والزيتون والتوت ، وأغصان الغار
الزكية الرائحة ، الذي له أكبر الفضل في إذكاء أرق المشاعر القلبية
في صدر كاتولوس ، وتحبيبه في كل صوت جميل أو منظر بهيج .
ولد كاتولوس في ثيرونا ، أو ربما في إحدى ضواحيها القريبة ،
وهذه الحقيقة يذكرها لنا أوفيدوس Ovidius فيما كتبه إذ يقول :
« تغتبط مانتوا بفرجيل ، وثيرونا بكاتولوس » .

ويجمع المؤرخون على أن كاتولوس ولد في عام ٨٤ ق.م . ،
ولا يشذ عنهم غير سانت جيروم الذي يجعل تاريخ ميلاده عام
٨٧ ق.م . بدلاً من ٨٤ ق.م وعلى كل فإن كاتولوس
قد ولد قبل عودة سولا Sulla من الشرق على رأس كتابته الظافرة
ليضع حداً لأعمال النهب والسلب وجرائم القتل الساتورناليا المارية

• Marian saturnalia

ويحتمل أن يكون لكاتولوس شقيق واحد ، يكبره سناً ،
وكان والده من رجال الحى البارزين ، ومن أصحاب النفوذ والسلطان ،
حتى إنهم كانوا يضعونه وسط القائمة التي تتضمن أصدقاء يوليوس
قيصر المقربين . . .

وهناك احتمال آخر بأن أباه كان أحد متعهدي الجيوش ،
الذين - كما هو الأمر الآن - وجدوا في الحرب عملاً مربحاً ،
فكان يمد قوات قيصر بالآلات الحربية والمؤن ، كما كان يعمل
مثلاً لقيصر في بيع الأسلاب الغالية في السوق الرومانية . فلو صح
هذا الاحتمال ، فإن ضيعته وبيته الريفى الذى يقع على ضفاف شبه
جزيرة سيرميو Sirmio في بحيرة جاردا ، لم يستخدمهما كاتولوس
كمصيف تأوى إليه العائلة للراحة والاستجمام فحسب ، بل وكستودع
لحفظ المؤن الحربية وهى تشق طريقها نحو الغرب .

نستنتج من هذا أن كاتولوس الصغير كان يمضى فصلى الصيف
والخريف من كل عام في ذلك الجو الريفى الهادىء وسط تلك المناظر
الخلابة من الخضرة الياقة والماء العذب القراح الذى ينساب كأسلاك
فضية على بسط زبرجدية تحت أشعة الشمس الدافئة . أما فصلا
الشتاء والربيع فكان يقضيهما في خضم مدينة فيرونا .

ومن المفهوم أن كاتولوس كان يتلقى في المدينة دروسه في
الخطابة التى هى أهم علم كان يتضمنه برنامج التعليم الرومانى ، إلا أن
الأمر في حالة كاتولوس اختلف بعض الشيء ، فقد تلقى إلى جانب
دروس الخطابة تعاليم أخرى وجدت في نفسه هوى أعظم وميلاً
فطرياً أكثر ، ألا وهى تعاليم فاليريوس كاتو Valerius Cato
الأدبية . فإن كاتو — كما يعرفنا بذلك سويتونيوس Suetonius ،

كان يلقي في ذلك الحين محاضراته على أبناء الأثرياء في الأحياء المجاورة... ولا شك أن الأدب اللاتيني يدين لكاتبه بأكثر مما يلاحظ أحياناً، لأنه كان أسبق الأدباء الذين عرّفوا الشعراء السكندريين بحلقات من المستمعين الرومانيين، ودرّبوا مدرسة كاملة من الشعراء الصغار الذين يسميهم شيشيرون «مغني يوفوريون» Cantores Euphorionis، على ثقافات من الفن السكندري.

وليس من شك في أن كاتولوس قد تعرّف تحت إشراف كاتبو بالشعراء الأغارقة الذين عاشوا في مختلف العصور ابتداء من هوميروس إلى كاليمachus ، إلا أن كاتولوس لم ينس أن يُصدّر إحدى أشعاره (المنظومة ٥٦) باسم أستاذه كاتو الذي مات معدماً مُعسراً بعد أن مات هو بسنوات عديدة. ويجب ألا يغيب عن بالنا ما كان للثراء من أثر في شاعرنا هذا الصغير، فلقد جرفته ثراء أبيه في تيار الغواية الذي تحرر منه زملاؤه الفقراء من طلاب العلم الذين كانوا يكبرونه سنّاً، ولا ريب أن هناك بين أشعار كاتولوس ما يدل دلالة صريحة على نوع الحياة التي كان يحياها في فيرونا أيام الطيش والجهل. ويحتمل أن يكون كاتولوس قد كتب أمثال هذه الأشعار كي يلفت الأنظار إليه، وحتى يغنم من ورائها ما كان يهدف إليه من صيت، كأن يشتهر في مسقط رأسه بأنه ذلك المغامر الجسور. ولهذه الأشعار الفضل الأكبر في اهتمام

كلوديا بكاتولوس ، بل وفي قيام تلك العلاقة الغرامية بينهما
ولقد كان لقاء كاتولوس بهذه السيدة في فيرونا نقطة التحول الكبرى
في حياته وكتابات . . . فلما اضطر إلى اقتفاء أثر كلوديا في روما في
ربيع عام ٦١ ق . م . هجر كاتولوس من غير شك ملذات الريف
الخطيرة وانصرف إلى عاصمة الدنيا بمهاجرتها الساطعة الخطيرة .

وما لا يتطرق إليه أى شك أن كلوديا كانت تلعب دوراً رئيسياً
في تلك الدسائس السياسية التي كانت موضوع حديث الناس في كل شهر
من شهور عامي ٦١ ، ٦٠ ق . م . ولكننا نفتقر إلى دليل واحد
نستخلص منه أن حبيبتها اليافع قد لعبت في هذه الأحداث السياسية أى
دور يذكر فإن ملذات العاصمة ومهاجرتها قد جرفته بلا ريب إلى
صنوف أخرى من الهوايات والميول . ولو حدث أن عفت نفس
كاتولوس هذه الملذات لألفيناه ينعكف على الشعر يقرضه وينظمه
أنغماً وأوزاناً . . .

ولقد حدث في روما في ذلك الوقت ولأول مرة في تاريخ هذه
المدينة العريق ، أن قام ميل أدبي واضح بين بعض طبقات المجتمع
ترعّمه في شيء من الحماس المحمود طائفة من شباب الشعراء الذين
قدم معظمهم من شمال إيطاليا ويدعون « الشباب » . فانضم إلى هذه
الندوة شاعرنا كاتولوس ، وسرعان ما أصبح واحداً من روادها
ومن أكبر قادة رسالتها الأدبية .

كانت الروابط بين جمهرة أصدقاء كاتولوس عديدة ، وإن كان هؤلاء الأصدقاء جميعاً يدينون بالولاء إلى فاليريوس كاتو الذى أضفت عليه ليديا Lydia المزيد من الشهرة والصيت ، والكثير من الربح الوفير مما مهد له شراء البيت الريفى التوسكولى Tusculan Villa ، الذى اضطر كاتو فيما بعد إلى التنازل عنه لدائنيه ... وقد كانوا جميعاً من المعجبين بالمدرسة السكندرية التى تعارض الفسكرة القائلة بأنه من أول واجبات الشاعر أن يكون وطنياً ، لأنهم جميعاً كانوا مكبين على دراسة فنههم بكل معانى الجد والاهتمام ، لا يبتخلون بوقتهم أبداً فى أى نقاش يدور حول هذا الموضوع ، بل كثيراً ما كان يحتدم الجدل فيما بينهم حول قواعد الشعر وأسس النظم ... ولقد انتهى بهم الأمر جميعاً إلى الهيام بالحب والغرام ، حتى أصيبوا بآلامه وتبارحه ، وبنعمائه ولذاته. ولم يتورع الذين لم يعرفوا الهوى من أن يتظاهروا بأنهم غرقى فى بحاره ... وكان من بين هؤلاء رجل من كريمونا Cremona يدعى فوربوس بيباكولوس Furius Bibaculus ، وهو الذى اشتهر فيما بعد بقذفه اللاذع فى يوليوس قيصر ، والذى يحتمل أن يكون هو نفس فوربوس الذى تناوله كاتولوس فى منظومته السادسة والعشرين التى يأتى فيها على ذلك الموقف التعس الذى يعانى به بيته الريفى .

« أي فـورـيوس
 إن بيتي الريفي الصغير
 لا يتعرض لهجوم
 لفحات أوستير
 أو لفحات فافونيوس
 وبورياس العاتي
 وأفيلوتيس أيضاً
 ولكنه يتعرض لعصفة
 خمسة عشر ألف
 ومائتي ريح باردة
 فياها من حالة جوية مفرّعة .

وكان من بينهم أيضاً كايكيلوس Caecilius أحد مواطني نوثوم
 كوموم Novum Comum الذي كان قريباً إلى جوار الشاعر ، ولذا
 نجد كاتولوس يشير في منظومته الخامسة والثلاثين إلى الربة العظيمة
 كوبيلي Cybele ، التي كانت لب موضوع منظومة كايكيلوس :

« إني يا فتاتي
 أحس بإحساسك
 أنت يا من تبذين
 ربه الشعر سافو
 فإن كايكيلوس حقاً

قد صدر قصيدته (الماجناتير)

بمقدمة آية في الروعة .

أما ثالث هؤلاء فقد كان جيوس هيلقيوس كيننا Gaius Helvius Cinna من بريكسيا Brixia ، وهو ذلك الشاعر الذي لقي حتفه خطأ على يد السابلة في حفل دفن جثمان قيصر ، وقد ألف «سميرنا» وهي ملحمة قصيرة نتيجة جهد متواصل دام تسع سنوات يروى لنا فيها كيننا غراميات مورا Myrrha المحرمة مع أبيها كينوراس Cinyras ، ولقد ورد ذكر كيننا وملحمته هذه في صدر المنظومة الخامسة والتسعين من أشعار كاتولوس :

« سميرنا » صديق كيننا
التي نشرت أخيراً
بعد تسعة فصولٍ حصادٍ
وانقضاء تسعة أخرى مشاتٍ
منذ الابتداء فيها
بينما في عام واحد
كتب هورتيقيوس
خمسائة ألف بيت من الشعر .

كان هؤلاء الثلاثة غاليين ، ومن الأعراب الوافدين إلى روما .
أما الأعضاء الآخرون المنتمون إلى ندوة هذا الشاعر ، فكانوا ينتمون إلى عائلات إيطالية عريقة في القدم . فقد كان هناك

كورنفيكيوس Cornificius مؤلف ملحمة جلاوكوس «Glaucus» القصيرة والذي كانت أخته كورنفيكيا شاعرة أيضاً ، وقد لقي حتفه في ميدان القتال إبان الحروب الأهلية التي اضطرت نيرانها في عام ٤١ ق.م. وكان وقتذاك حاكماً على أفريقيا حيث هجره جنوده الذين اعتاد أن يسميهم «أرانب في خودات» . ويأتي ذكر كورنفيكيوس هذا على لسان كاتولوس في منظومته الثانية والثلاثين .

وكان هناك أيضاً أسينيوس پوليو الصغير Asinius Pollio من تياتي Teate ، وكانت سسنه في ذلك الوقت لا تزيد على سن قتي غص الإهاب كما تصرح بذلك منظومة كاتولوس الثانية عشرة ، وهو الذي اشتهر فيما بعد كصديق لكل من هوراتيوس Horatius وڤرجيل Virgilius .

ومن أصدقائه أيضاً مانليوس توركواتوس Manlius Torquatus ابن أحد قناصلة عام ٦٥ ق.م. الذي طار صيته في الآفاق إثر إعدامه كورنيليوس سولا^١ Cornelius Sulla بتهمة الاشتراك في مؤامرة كاتيلينا Catilina ، والذي كتب كاتولوس إحدى منظوماته تكريماً لزوجته من جونيا أورونكوليا Junia Aurunculeia .

هذا فضلاً عن صديقي كاتولوس الحميمين اللذين ولدا بمحض الصدفة في يوم واحد ، وهما ماركوس كايليوس روفوس Marcus Caelius Rufus وجيوس ليكينيوس كالفوس Caius Licinius Calvus .

لم يتمتع واحد من هؤلاء بما كان يتمتع به كاتولوس ، من
الذكاء والعبقرية غير كالقوس الذى طبق صيته الآفاق لا كشاعر
فحسب بل وكخطيب مفعوه . ورغم أنه كان قصير القامة فقد كان
ألد مناقسى شيشيرون .

ولقد كان حديثه ضد قاتينيوس شديد الوقع حتى إن المدعى
عليه التعس صاح فى هيئة المحلفين : « أيها الأخيار ، أتحق أن أتهم
بفضل فصاحة خصمى ؟ ! » . أما أشعاره وهجائياته السياسية فليس
لدينا منها إلا كسر تدعو إلى الرثاء ، ولم يكن من بينها ما يدعو حقاً
إلى الإعجاب وما يتصف بالروعة والجمال غير البيتين اللذين كتبهما
عن پومپي ، واللذين يفوقان فى عنفهما ما كتبه كاتولوس فى هجاء
قيصر :

« عظيمنا الذى يخشاه العُتاه
يحك رأسه بأصبعه
ماذا يريد ، وأعجباؤه ؟
لعله يهوى رفيقة لمضجعه » .

ويضع هوراتيوس وأوفيدوس الشعارين فى مرتبة واحدة ،
أما موت كالقوس المبكر فى سن الخامسة والثلاثين فقد كان فجعة
للأدب اللاتينى لا تقل عن فجيعته بموت كاتولوس نفسه .
وكان مصدر غبطة هذه الجماعة من الشعراء الناشئين أن نشر
كاتولوس أول كتيب له فى عام ٦٠ ق.م . وكان يتضمن مجموعة من

أشعاره الأولى في لسييا وبعض محاولات شاعر فيرونا إبان ميعة
 الصبا ونعومة الظفر ، ولقد صدّر كاتولوس كتيبه هذا بمقدمة هي
 القطعة الأولى من منظومات الشاعر المترجمة بهذا الكتاب ، ومنها
 يفهم أن الشاعر يصدّر كتابه لأبرز شخصية غالية كانت في روما
 وقتذاك ، ألا وهي شخصية كورنيليوس نيبوس Cornelius Nepos
 المؤلف المشهور الذى كتب كتابي « حياة مشاهير الرجال » و « تاريخ
 العالم » ، والذى لم تخرج كلمات كاتولوس عن مديحه وتمجيده ، الأمر
 الذى دفع نيبوس إلى رد هذا الجميل فيما بعد بجميل مماثل ، فلم
 ينس عند الكلام عن « حياة أتيكوس Atticus » أن يضع كاتولوس
 في قائمة واحدة مع لوكرتيوس Lucretius كأعظم شعراء عصرهما .
 ولقد قضى كاتولوس معظم السنوات الثلاث التالية إما في روما
 أو بباي Baiae أو في بعض الأماكن الأخرى التى يجد فيها الإنسان
 المتعة والسرور ، مكرساً بعض الوقت كما نعتقد لكتابة الشعر ، هذا
 وإن كان شغله الشاغل إبانها انحصر في كلوديا وفي تلك الجماعة من
 الشباب المرح الوثاب أمثال فاروس Varus وفلافيوس Flavius
 وكاميريوس Camerius ونسائهم .

وفي هذا الوقت بالذات تقع أحداث سياسية ، ذلك لأن بومبي
 وكراستوس Crassus وقيصر ، كانوا قد غامروا بمواردهم من
 الجنود والمال والحنكة ضد الدستور القديم ، كما أصبح قيصر في عام

٥٩ ق . م . قنصلاً ، وذهب في العام التالي إلى بلاد الغال ليتبوأ
هناك منصباً دائماً لمدة خمس سنوات . وفي ربيع نفس العام دبّر
كلوديوس خطة لنفي شيشيرون ، كما بدأ في روما الاعتماد على حكم
العامّة العنيف رغم أنف پومپي ، واستمر ذلك ثمانية عشر شهراً كاملة ..
بيد أن هذه الأحداث السياسية كلها لم تكن لتشير كاتولوس
أوعلى الأصح كانت في المرتبة الثانية بالنسبة إلى شؤونه الشخصية .
غير أن الأزمة التي أصابت ثروته الخاصة ، كانت وحدها العامل الأول
الذي دفع كاتولوس إلى أن يقبل هو وهيلقيوس كينّا Helvius
Cinna منصباَ ضمن هيئة العاملين مع جيوس ميمپوس Caius Memmius
مالك بيشينيا .

وكان ميمپوس هذا الذي صدرت باسمه منظومة لوكريتيوس
عن طبيعة الأشياء De rerum natura ، من غواة الشعر كز ميله
كالپورنيوس پيسو Calpurnius Piso قنصل مقدونيا السابق وكان
قد انضم إليه في ذلك الوقت صديقان آخران من أصدقاء كاتولوس
هما فيرانيوس Veranius وفابولوس Fabullus ، ويحتمل أن الحاكمين
قد اعتبرا تعيينهما هذا دليلاً قاطعاً على إخلاصهما للأدب .
ولكن الأمر في حال الأربعة يشير إلى أن المجد المكتسب
يفوق الرّجح المقتنى .

ولقد أمضى كاتولوس عاماً واحداً في وظيفته ، ثم عاد في ربيع

عام ٥٦ ق.م. ساخطاً حانقاً ، وكان قد اشترى لاجل هذه الرحلة ذلك الزورق السريع الذى وصفه لنا فى المنظومة الرابعة ، والذى كان فى مقدوره أن يجلبه من أماستريس Amastris ، مينائها الأول إلى البروپونطيس Propontis . . . فلما ركب كاتولوس ظهر زورقه فى كيوس Cios . زار أولاً وقبل كل شئ قبر أخيه فى طرود Troad وبعد أن مرَّ بمدن سواحل آسيا الصغرى المشهورة عبر بحر إيجه عن طريق رودس وديلوس وكيكلاديس Cyclades إلى مضيق كورنثة ، ثم نقل الزورق إلى خليج كورنثة ليجر شمالاً عبر البحر الإدرىاتيكى ، ومن هناك عبر نهر الپو Po ومينيكيو Minicio إلى حيث بحيرة جاردا .

ويبدو أن كاتولوس أمضى العامين الأخيرين من حياته فى سيرميو وفيرونا ، ولم يخلُ الأمر من زيارات خاطفة إلى روما مفكراً ، كما فعل كيتس Keats من بعده ، فى موت شقيقه وفى حبه التمس ، آملاً أن ينسى أحزانه بالدرس وقرض الشعر . . . ولهذا الحقبة من الزمان ينتمى عدد لا يستهان به من أشعار كاتولوس القصيرة أفضلها منظومته عن أكي وسيتيميوس Acme & Septimius ، وأردوها ما كتبه عن مامور Mamurral ، ويتجلى فيه ما بين الشاعر ومامورا من تحامل شخصى محض مرَّده أميانا Ameana تلك السيدة التى كان بينها وبين الفضيلة حب مفقود ، كما كانت ذات يوم موضوع حب كاتولوس حتى هجرته إلى أحضان القائد . . .

البَابُ الثَّانِي

غرام كاتولوس بليسيبيا

تداعب قصص الغرام بسحرها المغرى خيال الشباب والشيخ
من الجنسين فتجيش لها أقوى العواطف كما يستجيب لها أكثر المشاعر
العالمية . . بيد أنه عندما تكون المحبوبة من ألمع شخصيات عصرها
فإن نفوذها لا ينبسط على المسرح السياسى فحسب بل وعلى المجتمع
أيضاً فيبلغ نفوذها شأواً لا يقل فى عظمتة عن خطورته فيزداد
الأمر عندئذ أهمية ويكون لأدق التفاصيل فى حياة الحبيبة الخاصة
قيمتها البالغة لدى المؤرخ والتربوى . فإن حدث وكان الطرف الثانى
شاعراً غرامياً، فإنه يسجل فى أشعاره جميع مراحل علاقته الغرامية
منذ أول لحظة من لحظات الطرب والسرور إلى آخر شقوة من
شقوات الحب الفاشل دون أن يترك أى نقد أدبى لشعره مهما أشد
الاهتمام بالتعبير الدقيق عن كل خلجة من خلجات الحس حتى تبدو
صورة رائعة للشاعر والعواطف الإنسانية، مجسمة ناطقة . . .
فلعل هذا وحده من الأسباب الأولى التى تجعل من قصة غرام
ليسيبيا وكاتولوس موضوعاً جديراً بالتسجيل وقصة خليقة بالذكر،

ورواية غرامية تتجاوب مع العواطف الإنسانية الرقيقة ، وإن
كانت لا تخلو من تباريح الهوى ومن النيران المتأججة المستعرة
التي يكوى بها قلب كل محب . . . ولعل غرام كاتولوس هو الذى
صدق فيه قول الشاعر العربى :

سلنى عن الحب يا من ليس يعلمه
ما أطيب الحب لولا أنه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله
فى حلق ذائقة مر ولا شهد
أو قول زميله :

سلنى عن الحب يا من ليس يعلمه
عندى من الحب إن ساء لى خبر
إنى امرؤ بالهوى ما زلت مشتهراً
لاقيت فيه الذى لم يلقه بشر
الحب أوله عذب مذاقته
لسكن آخره التنغيص والكدر

فقد كان غرام كاتولوس حقاً مزيجاً من الحنظل والشهد ،
خليطاً من المسرات القلبية والآلام النفسية . . . ولقد تولى كاتولوس
فى أشعاره تسجيل مشاعره هذه فى غير حياء ولا خجل ، وفى
صراحة تدعو إلى العجب ، ودقة تثير الدهشة ، وبساطة ترفع من

شأن شاعرنا الولهان وتجعله رائداً أول بين شعراء الغرام عند
 الرومان وتبوئه عرشهم أجمعين كأول من جاهر بأحاسيسه الغرامية ،
 وأصدق من صرح بما يعاينه من تباريح العشق وما يقاسيه من آلام
 الغرام ومن جفاء الحبيب وصدوده اللعين . حتى إن قصة غرام
 الشاعر راحت تجرى من فم إلى فم وطفقت تنتقل من دار إلى دار
 حتى صارت مدار حديث المجالس والمجتمعات وأصبحت مضرب
 المثل بين سكان المدينة ، ومقياس العشق كلها عرض ذكر للعشق
 الروماني على لسان أحد ... إن كل قارئ لأشعار كاتولوس
 الغرامية لن يغيب عليه قط مأساة الشاعر الغرامية ولن يعجز عن
 تفهم مدى أثر ذلك في حياته وقلبه ، كأن كاتولوس وهو يسجل
 أشعاره في حب ليسيبيا لا يردد قول أحد غير قول الذي أنشد :

يأبها الرجل المعذب بالهوى
 إني بأحوال الهوى لعليم
 الحب صاحبه يبيت مسهداً
 فيطير منه فؤاده ويهيم
 والحب داء قد تضمنه الحشا
 بين الجوانح والضلوع مقيم
 والحب لا يخفى وإن أخفيته
 إن البكاء على الحبيب يدوم

والحب فيه حلاوة ومرارة

والحب فيه شقاوة ونعيم

والحب أهون ما يكون مبرح

والحب أصغر ما يكون عظيم

أحب كاتولوس ليسيبيا . . . أحبها حباً جارفاً ملك عليه
شغاف قلبه فكان حباً نقياً كماء الغمام ، طاهراً كصحائف الأبرار ،
عظيماً كهوج البحر ، فأحس بليسيبيا كأنها في دمه نور ، وفي كيانه
سحر ، وفي حياته رجاء وأمل .

فمن تكون ليسيبيا هذه ؟ وكيف وقع كاتولوس في حبها ؟
لم تكن ليسيبيا حرة طليقة ، أى لم تكن عذراء فنية ، ولا بكرأ
نقيه . . بل كانت امرأة ، أو قل زوجة تنتمى إلى طبقة دونجوانات
روما . . ولم تكن زوجة رجل مغمور أو بعل من عامة الشعب ،
بل كانت زوجة كوينتوس كايكيليوس ميتيلوس كيلير
Quintus Caicilius Metelus Celer وابنة أپيوس كلوديوس
پولسکر Appius Claudius Pulcher ، وشقيقة پوبليوس كلوديوس
Publius Clodius . . . ولم تكن امرأة بسيطة الشأن أو خاملة الذكر ،
بل كانت من أقطاب عصرها ، ومن مشاهير بنات جنسها . . لم
تكن ليسيبيا امرأة ساذجة ، بل كانت لغزاً أنثوياً حياً مثلاً في عادة
ماكرة غزلة لعوب ، تعرف كيف تأسر في ثقة ، وتجذب في سكينته ،

وتفتن في صمت ، وتستميل في إغراء هادى . مطمئن عميق لا يكشف
سر ها ولا يعيط اللثام أبداً عن حقيقة شخصيتها ، لقد كانت ذنباً
في فراء حمل وادع .

لم يكن « ليسيبيا » الاسم الحقيقي لتلك السيدة التي ألهمت قريحة
كاتولوس كما أشعلت بالحب قلبه ، بل هو الاسم الذى استخدمه
الشاعر في قصائده كلها أراد أن يعنى بحييته « كلوديا » .

أما الأدلة على أن ليسيبيا هى كلوديا نفسها ، فليست قليلة ،
وكلها فى متناول أيدينا . فلقد ذكر لنا أوفيدوس فى منظومته
« تريستيا Tristia » ما يؤكد أن كاتولوس كان يستخدم اسم « ليسيبيا »
على سبيل الكناية : « كثيراً ما كان يترنم كاتولوس السعيد بحييته
ويسميا بالاسم الزائف « ليسيبيا » .

أما أبوليوس Apuleius أحد كتاب القرن الثانى لليلاد فيؤكد
بصفة قاطعة أن « ليسيبيا » هى « كلوديا » ، ولا أحد غير « كلوديا » ،
إذ يقول « دعهم يلومون كاتولوس لاستعماله الاسم « ليسيبيا » كناية
عن « كلوديا » .

غير أن كاتولوس فى منظومته التاسعة والسبعين يحدثنا عن
شقيق لليسيبيا يدعى « ليسبيوس » ويسميه « پولكر » أى « الفتى
الجميل » ، وهذه هى الدعابة التى كثيراً ما كان يلجأ إليها شيشيرون مع

الاسم كودوريوس ، وإن كان بدوره يشير من طرف خفي إلى إثم
العلاقة الوثيقة التي بين الجبيين .

كذلك نجد كاتولوس في المنظومة السابعة والسبعين التي كتبها
في عام ٥٨ ق.م يسب صديقه روفوس الذي سرق منه أغلى ما كان
يملك .

وفي هذا العام بالذات ، أى بعد موت ميتيليوس ، كما علمنا
من خطبة لشيشيرون دفاعاً عن كايليوس Pre Caelio إذ كان
ماركوس كايليوس روفوس يعيش مع كلوديا في بيتها فوق تل
الپلاتين .

والآن يمكننا دون أى عناء أن نكشف الستار عن مسرحية
كاتولوس الغرامية وعن شخصيات أبطالها المبرزين ، كما يمكننا
أن نذكرهم بأسمائهم الحقيقية دون حاجة إلى أسماء مستعارة ...
أما البطلان فهما كاتولوس وكلوديا ... يعاونهما في أداء المسرحية
ميتيليوس زوج البطلة ، وكايليوس روفوس أصدق أصدقاء البطل ...
ومن كان يمثل الجوقة بكل مستلزمات من الإسهاب والتطويل ، فهو
المحامى المشهور والسياسى الداهية ، ونابعة زمانه ماركوس توليوس
شيشيرون . ولا يجب أن يغيب عن بالنا أن تلك الزوجة وذلك
الزوج كانا ينتميان إلى عائلتين من أعرق العائلات الرومانية نسباً
وأكرمها مجتداً . وأن الشخصيات الخمس رغم ما فى مسلكهم من

تلون صارخ ، كانوا يحتلون أرفع المناصب في المجتمع ، كما أنهم
قضوا حياتهم وهم يحط أنظار العامة والخاصة ، لا تكف الألسنة
عن ذكرهم والإشادة بمآثرهم حتى طبقت شهرتهم الآفاق .

كان أهم مظهر من مظاهر سلوك طبقة أرسقراط الرومان
القدماء ، هو تمسكهم الشديد بتقاليد العائلة التي ينتمون إليها وبعاداتها...
فمن يميزات عائلة كلوديا مثلاً الاعتداد بالنفس الذي هو أقرب إلى
الكبرياء والغطرسة ، والاحتقار الشديد للرأى العام ... هذا
فضلاً عن كفاءة خاصة ، أدبية وفنية لا يتمتع بها غيرهم من أبناء
أمتهم ... فلقد كان من بين أسلاف كلوديا ، الحكام العشرة
المتغطرسون الذين تدين إليهم روما بالآلواح الاثني عشر ، مصدر
قانونها ووحية ، وذلك الرقيب الأعمى الذى شيد طريق أپيا
Appian Way وخزان أپيا Appian Aqueduct ، وأحد أوائل
المؤلفين اللاتينيين ، وتلك العذراء القيسطالية التى شهدت لها السموات
بالعفة والطهارة .

وكانت كلوديا نفسها تتمتع بنصيب وافر من تلك العبقرية
الخارقة التى أكرست عائلتها ذلك المجد الرفيع والاحترام العظيم ...
فمن الجلى إذن أن كلوديا قامت بثورة ضد التقاليد والعرف ،
ولو أنه كان فى مقدورها بحال من الأحوال أن تنال السعادة فى
حياتها الزوجية ، لكانت قد وفقت إلى شريك أكثر لياقة فى

شخص رجل له مثل عبقرية شيشيرون القادر وحده على الوصول إلى مدارك فهمها... وما كان لها أن تتزوج محض جندي كميثيوس الذي تزوجته .

أما إذا ذكرنا شيئاً عن طبائع عائلة ميثيوس فأنسب لفظ للتعبير عن هذه الطبائع جملة هو لفظ « الصرامة gravitas » الذي يستخدم في اللغة اللاتينية كمرادف لكلمة « حمافة ، أو « غباء » ولقد زوّدت عائلة ميثيوس الدولة لأجيال عديدة بسلسلة متواصلة من السياسيين المحافظين والإداريين الملتزمين والقادة الصارمين . ولقد حدث أن أحد أفراد عائلة ميثيوس ألقى بالشاعر نايثيوس Naevius في غياهب السجون لأنه جرؤ على انتقاد سلطته إبان الحرب البونية Punic War ، وتزعم ميثيوس آخر حركة المقاومة العنيفة التي أباها مجلس الشيوخ ضد التشريع الجراكهي Gracchan Legislation ... هذا فضلاً عن ميثيوس الذي قاد دفعة الحرب ضد يوجورثا Jugurtha في ذلك الأسلوب البطيء حتى ألقى نفسه ، وقد ألم به حزن شديد ، قد حل محله ماريوس المحدث... وكان كوينتوس كايكيلايوس ميثيوس كيلير زوج كلوديا ينتمي إلى هذا البيت الروماني وتسرى في دمائه تلك النزعة التحفظية الملتزمة .

كان ميثيوس هذا أحق ، ولكنه كان عنيداً ، وكان في حياته

الخاصة سمجاً فظاً ، وإن كان في حياته العامة وقوراً جداً ورزينا للغاية . . لقد كان مع جموع الشعب وقحاً متغطرساً ، بينما كان مع أبناء عشيرته لطيفاً رقيقاً . . .

وإن أردت الحق ، فإن ميتيلوس كان مثلاً صادقاً للأرستقراطي الروماني القديم ، ولذلك الزوج العاجز عن السيطرة على امرأة جديدة كزوجته ، الفاشل في شق طريقه عبر خضم السياسة المضطربة . فالسياسة العملية — أى المتضمنة أولاً وقبل كل شيء ، معرفة الطريق الذى سيسلكه الناس فى إعطاء أصواتهم قبل التصويت بفترة من الزمان — قد أثارت مشكلة عويصة فى عصره ، كان حلها فوق طاقة رجل له ذكاؤه ونباهته .

ومع ذلك فقد كان ميتيلوس رجلاً له بعض الصفات القوية .
ففى عام ، ٦٣ ق . م . لعب دوراً بارزاً فى تحطيم قوات كاتيلينا المسلحة ، فكافة شيشيرون على ذلك بأن وكل إليه فى العام التالى حكم غاليا كيسالبيين Cisalpine Gaul ، إذ رأى شيشيرون أن الصالح العام يتطلب منه أن يبقى هو فى روما . ومن ثم فى ربيع عام ٦٢ ق . م . رحل ميتيلوس ومعه زوجته إلى تلك الولاية ، ويحتمل أن يكون بعد مضى بعض الوقت فى حكم هذه الولاية ، قد التقى حبيبانا فى فيرونا وبدءا غرامهما الذى تكشف أشعار

الشاعر عن الكثير من مراحلها والتغيرات التي اكتنفته . . .

كان كاتولوس في ذلك الوقت في الثانية والعشرين من عمره ،
أى أنه كان في السن التي تمكنه من التعرض لبعض التجارب
البسيطة في الحب مع بعض العذارى اللطيفات المعشر من أمثال
إپسيثيلا Ipsithilla وأوفيلينا Aufilena ، ولكنه كان صغير السن
من غير شك ، وفي غاية السذاجة . ومن ثم لم يقو أمام حب هذه المرأة
الرومانية العظيمة ، التي تنازلت لخصته هودون غيره بنظرات الحب
ولحات الهيام ، فجرفته في تيارها واكتسحته بسحرها وأوقعته في
حبائلها حتى الثمالة . . . وكانت سن كلوديا نفسها تزيد على سن
كاتولوس بما يقرب من العشر سنوات ، فقد كانت تقترب من
ذلك السن الذى يسميه أوفيدوس سن الفتنة والجازبية (امرأة في
سن الثلاثين) كما كانت قطعة من الإغراء الفتان ، بديعة فريدة
المثال ، أشبه بالبدر المنير بين النجوم السواطع ، ذات وجه صبح
وعينين دعجاوين . في وجهها هدوء . وفي عينيها صفاء . ولصورتها
رواء . هيفاء متناسبة الطول معتدلة القد ، مرفوعة الرأس دائماً .
لا يبدو وجهها الا مليحاً صبوراً واضحاً . . تسير في طريقها فلا
تنحرف ولا تميل . . كاملة بارعة تعزف لحناً ساحراً . فتجذب
بظاهر فتنها قلباً بعد قلب . . وكان عنقها الأتلع المستدير يشبه
برجاً من اللجين الخالص ، وذراعها البضة تشبه فرعاً مجيداً من

شجرة مباركة كل ورقة فيها تفيض بالبهاء والنور . . وكان جبينها
ناصعاً كالصراحة ، ونظراتها باثرة كالعزيمة ، ولمعة تفكيرها
العبقري تجثم في عمق عينها كما يجثم سر الحياة الكبرى في مقدس بدن
الغض الجميل . . أسنانها بيضاء كياسمين منضد ، صقيلة لماعة كأندر
العاج وأغلاه . . ممشوقة القوام في شموخ ساطع ، جريئة الروح
في انتقاد ناضر ، مشبوبة القلب ، مضطربة العاطفة ، أهدابها كحيلة
سوداء ذات وطف ، ثغرها دقيق عذب المرافف ، قد فرع عودها
وبرز نهداها المشرمان المتحلبان نعيماً ، كما استدار وجهها وتلاؤلاً
جبينها المشرق كأنه الهلال الوليد يطل من الأفق .

كانت كلوديا إذن مثلاً صارخاً من الجمال الإيطالي الذي كان
يتخذ بعض الفنانين نموذجاً حياً لهم في فنهم . هذا وإن كان
كاتولوس لم يذكر لنا في أشعاره من أوصاف كلوديا الجسدية إلا
النذر اليسير عن قدمها الدقيقة ، ويدها المستدقة ، وأنفها الصغير
المستقيم وعيونها السوداء اللامعة .

أما شيشيرن الذي كان يعرفها معرفة جيدة ، والذي فكر ملياً
في الطلاق من زوجته تيرينثيا Terentia من أجل الزواج منها ،
فقد اعتاد أن يصفها دائماً بتلك الصفة الهومرية المشهورة ذات
عيون المها ، التي تنسب دائماً للملكة السموات . . ولا شك أن
كلوديا قد بدت لكاتولوس في بادئ الأمر كأنها جونو Juno

متجسدة ، لها جمال وجلال زوجة جوبيتر Jupiter ملك
الأرباب والبشر .

كانت القصيدة الحادية والخمسون هي أول القصائد التي كتبها
كاتولوس في حببيته كلوديا ، وفيها يصف مشاعر المتعبد المتحمس
في حضرة معبوده ، وهي ولا شك تعبيراً صريحاً عن عواطف
وخلجات صادقة .. ويحتمل أن فارق السن والشباب هو الذي
دفع كاتولوس إلى اقتباس آراء وكلمات شاعر آخر واستخدامها
لتحقيق مآربه .. فهذه القصيدة محض ترجمة لإحدى أشعار
سافو Sappho الخالدة وهي من حيث الشكل ناجحة كأي ترجمة
يمكن أن تتم لقصيدة من قصائد سافو ، وهي في كلمات أخرى
فشل كان للقضاء والقدر دخل كبير فيه . أما عن الفكرة فيحتمل
أن كاتولوس قد تعذر عليه أن يلمس أن نوع حب سافو لصديقها
يختلف تمام الاختلاف عن حبه هو لكلوديا . ولكنه يرى أن
الأصل قد كتب لفتاة من ليسبوس Lesbos ، ومن ثم فهو يزوج
بالاسم « ليسيبيا » الذي راح يستخدمه في جميع أشعاره كاسم مستعار
لحببيته .

ويحق لنا أن نفترض أن هذه القصيدة الأولى في التودد
والتقرب كانت كافية لكي تغمر قلب السيدة بالغبطة والسرور .
ولقد سُمح للشاعر أن يتعرف إليها وأن يتقرب منها ، ومن ثم فإن

القصيدة التالية قد صدرها الشاعر بذكر عصفور حبيبته الأليف
الذى اعتادت أن تتركه يقفز على نحرها وفي حجرها ولعل
هذه القصيدة هي التي جعلت مارتيا لوس Martialis يسمى كاتولوس
« مؤلف قصيدة العصفور » . . .

أما حياة العصفور فقد جعلت كأقصر ما يكون ، شأنها في ذلك
شأن عواطف كلوديا نفسها . وفي القصيدة الثالثة التي ملأها الشاعر
بألفاظ التصغير وتعبيرات الإغراء والتقدير ، سجلت وفاة
العصفور المسكين .

فهذه القصائد الثلاث الأولى التي يحتمل أن يكون كاتولوس
قد كتبها في فيرونا ، لا تظهر كاتولوس إلا كمعجب متحمس
ومحب بريء ساذج .

أما في قصيدة « القبلات » وفي قصيدة « الدعوة إلى الحب » ،
المحتمل كتابتهما في روما حيث كان الشاعر قد تبع كلوديا في
عام ٦١ ق . م . فإن كاتولوس يبدو فيهما في شخصية المحب الذي
حظى حبه بالقبول ، كما أنه قد عبر فيهما أحسن تعبير عن سرور
الشباب الولهان الغارق في الحب إلى الأذان .

فهذه القصائد الخمس هي أول سجل لمظاهر حب كاتولوس
السعيد .

وفي سذاجة الشباب اليافع ، اعتبر كاتولوس أن من حقه أن

تنسى كلوديا من أجله واجبها نحو ميتيوس ، ولكنها عندما بدأت
تمارس حرية الاختيار التي كان الرجال يدعونها دائماً إلى أنفسهم ،
وما أن بدأت تسأم وتمل عشقه الحار ، مفضلة عليه آخرين من
المعجبين بها ، فإن آراء كاتولوس في الإخلاص تطورت وتغيرت .
وبعد ذلك ببضع سنين حاول كاتولوس في القصيدة الثامنة والستين
أن يستعيد أولى جذوات حبه فصور إحدى مقابلاته السرية مع
حبيلته في بيت صديقه أليوس Allius ونراه يتخيل نفسه محباً
صبوراً رضى الأخلاق :

« أعرف أتى لا أستطيع أن أكون حبيبها الأوحده
وأنه يجب على أن أتحمل ضعفها في رقة وكياسة
فلست من صنف الزوج الغيور
فإن تلك هي حصيفة ، فلسوف أكون أنا أعشى ،
ولكنه في حقيقة الأمر لم لم يكن أعشى ولا رضى الأخلاق ،
كما أنه كان بعيداً كل البعد عن السعادة ..

هذا إلى أن الوضع في روما اختلف كل الاختلاف عنه في
فيرونا . ففي العاصمة لم يكن المشكل الذي يواجه المرأة منحصراً
في الكيفية التي تقضى بها وقتها ، بل كان بالأحرى مقصوراً على وسيلة
إيجاد الوقت لتلك المسرات التي لا حصر لها ، وتلك المشاغل التي
كانت تملأ أيامها .. لم يكن جل همها إزاحة الستار عن حبيب

واحد لائق ، بل كيفية المحافظة على زمرة من المغازلين الشغوفين
في حالة من الغبطة والسرور . وفي عام ٦٠ ق . م . أصبح ميتيوس
قنصلا ، فتركزت جميع جهوده في أن يضع يومياً في مكانه اللائق ،
وهكذا قلّت أمامه الفرص والمناسبات عنها في أى وقت آخر لتلك
المراقبة الزوجية التي كانت كلوديا في ميسس الحاجة الشديدة إليها .
لقد كانت كلوديا محاطة بهالة من الشباب اليافع ، الذين وجد
كاتولوس في أغلبهم منافسين ألداء له في حب كلوديا . ولعل هذا
يوضح لنا شيئاً عن طبيعة كلوديا وكيف استطاعت أن تعذب محباً
شديد المراس ، كما أراح الستار عن هذا كاتولوس نفسه ... فيصر
كاتولوس على اعتبار كلوديا إحدى ممتلكاته ، ويصر على ذلك
بطريقة تدعو إلى الضحك والسخرية ، إن لم تكن تدعو إلى الرثاء
أيضاً . . فنراه يحذر في شيء من الجد والصرامة المعتدين على حبه
والمنتهكين حرمة من أمثال كوينتيوس Quintius ورافيدوس
Ravidus وجيليوس Gellius متظاهراً كمن له الصولة والسلطان ،
غير عابئ بكرامة زوج مسئول ، لابساً رداء الحب المتخترس
الولهان . . فليس بمستعجب إذن ولا بمستغرب أبداً أن تتعدد
المنازعات والمشاجرات ، وأن تكفل لنا القصائد التي كتبها كاتولوس
عن ليسيبيا إبان عام ٦٠ ق . م . تاريخاً مريراً لتلك التعنيفات المريعة

واللائمات القاسية ، فضلاً عن مناسبات الوفاق القصيرة الأمد ،
ومرات الوئام والانسجام القليلة العدد .

وعلى كل فقد كان على كلوديا إبان حياة ميتيوس ، أن تحافظ
على احترام معين للظاهر ، فضلاً عن أن واجباتها الزوجية قد
زودتها بلا شك بحجة مريحة للتعامل مع مغازل ولهان قد برّح به
الهوى . . ولكن في عام ٥٩ ق . م . وقعت حادثة ألحقت بموقفها
تغيراً كبيراً ملحوظاً . . فميتيوس وقد أنهكه ما كان يكتنف
السياسات الرومانية من تعقيدات لا مثيل لها ، قدم مات فجأة ، وإذا
انتقلت كلوديا إلى الإشراف الإسمى على أخيها سكستوس كلوديوس
بولكر ، ألد أعداء شيشيرون ، فقد أضحت مستقلة تمام الاستقلال
كأرملة في سن الخامسة والثلاثين وكصاحبة ثروة طائلة . والمجتمع
الروماني الذي تختلف أفكاره في المزاح اختلافاً يبتأساً عن أفكارنا ،
راح يقول مازحاً : « إنها سَمِّمت زوجها ، وكانت عشيقة أخيها
أيضاً ، بيد أنه من الخطل أخذ مثل هذا المزاح مأخذاً جدياً . .
حقاً إن كاتولوس وشيشيرون يكرران هذه الأقوال ، ولكن كليهما
شاهد لا يعتقد به . . فالحقيقة المقطوع بها والتي لا مرأى فيها ، ذلك
أن كلوديا بعد وفاة زوجها ، قد وقع اختيارها على ماركوس
كاليوس روفوس Marcus Caelius Rufus الذي كان تحت حماية
شيشيرون ، وصديق كاتولوس الحميم ، وأحد المغامرين الجسورين

الذين ذاع صيتهم في ذلك العصر المضطرب . قد وقع عليه اختيارها
حبيباً مفضلاً لا يجاريه في قلبها أى حبيب .

أما كيف استطاع كاتولوس أن يتحمل صدمة التنحي عنه وطرحه
في عالم النسيان ، ولفظه لفظ النواة وجعله ذكرى لغرام مضى
وانقضى ، فيمكننا أن نلحظه من تلك الآيات المريرة التى تضمنتها
القطعة السابعة والسبعون والمصدرة باسم روفوس .

ولكن بقدر ما كانت الضربة قاصمة لمركز كاتولوس الأدبي
ولقيمه الشخصية ، فإن تعلقه بحبيته السابقة كان تعلقاً شديداً بعد
تلك الروابط الغرامية الماضية ، حتى أصبح من العسير عليه الخلاص
منها ومن قيودها . ومن ثم فهو يكتب لها فى شبه تراكيب هى
خليط تارةً من السب والحب ، وطوراً من الاعتراف والاستغفار ،
وأحياناً أخرى من الثورة ضد عبودية المشاعر والأحاسيس ،
فيقول :

ولا أستطيع احترامك

وإن كنت صديقة

ولا الكف عن حبك

مهما كنت فاعلة .

وتجرى القصيدة الثانية والسبعون على نفس النمط

« أعرفك الآن أفضل من قبل
وهأنذا أقر وأعترف
بأن حبي لك ينمو ويزيد
بينما تقديري يقل وينكمش » .

وأخيراً نجد الشاعر يحمل ذلك العراك الصارم بين العاطفة
والكرامة الشخصية في بيتين من الشعر متأججين ، بعنوان
« أمقت وأحب » ،

« أكره وأحب
فلا تسألني عن السبب
فهما حاولتُ لا أعرفه
وإن كنت أحس بأنه ألم مبرح » .

ومن الخطبة التي ألقاها شيشيرون دفاعاً عن كاليبوس في عام
٥٦ ق. م . يمكننا أن نكوّن فكرة عن لون الحياة التي تحياها كلوديا
وجمهرة فرسانها من أمثال كاليبوس وكاتولوس وكالفيس ومن
عداهم إبان عامي ٥٨ و ٥٧ ق. م لقد كان للسيدة بيت ريفي
فوق تل الپلاتين بالقرب من نهر التير حيث كانت ، مثلها في
ذلك مثل ميديا Medea ، تمارس فن السحر وتزاوله ، وقد ساعدها
على ذلك ثروتها الطائلة وجمالها الفتان . . وكان وفاضها وفراشها
مباحين لكل حبيب طارق ، كما أن ليالى الشتاء كانت تمر سريعاً في

حفلات وولائم متعاقبات ، وفي رقصات وما يشبه الرقصات من شتى ألوان اللهو والترفيه عن النفس . . . فإذا جاء الصيف استجم الفريق كله عند شاطئ البحر وفي حمامات بايى ظل السعى وراء الم لذات والمسرات على أشده ، والانغماس فى الخلعة والمجون مستمر مع شىء من الإباحية التى يندر السماح بها فى روما .

والآن ، لندع شيشيرون نفسه يتكلم مدافعاً عن موكله أمام جمع السناتو فى تهمتى دس السم وابتزاز الأموال ، وهما التهمتان اللتان وجهتهما إليه كلوديا .

« سادى ، إننا فى هذه الدعوى لا نتعرض لأحد غير كلوديا ، تلك السيدة الكريمة المحتد ، الطائرة الصيت . بيد أننى لن أقول عنها شيئاً إلا بالقدر الذى يتحتم علىّ بيانه لكى أدحض الاتهام الموجه نحو موكلى . وإن لم تهمه كلوديا بأنة قد أعد السم لها ، وإن لم تقل إنها أقرضت كايلىوس أموالاً ، فكم تكون وقاحتنا إذا تكلمنا عن سيدة يختلف شرفها عما يستلزمه شرف السيدات الرومانيات . ولسكننا إذا نجيناها جانباً ، ولم يجد خصومنا اتهاماً يوجهونه ضد كايلىوس ، ولم تبق هناك وسيلة لمهاجمته ، فما الذى يتحتم علىّ ، بصفى محاميه إلا أن أصد كسرّة من يهاجمونا ؟ أما عن هذا الذى أقوله ، فقد أقوم به حقاً بمنتهى الصرامة ، لولا تلك البغضاء التى بينى وبين زوج

هذه السيدة . أعنى بينى وبين أخيها ، حيث إننى دائماً أبدأ أقع فى هذا الخطأ .

وكما هو واقع الحال فإننى سأصرف فى لين خشية أن أتجاوز الحدود التى يرسمها واجبى أو تقتضيها القضية التى وكل إلى الدفاع فيها : فكثيراً ما اعتقدت أنه من المفروض على أن أتجنب العلاقات السيئة مع السيدات ، وخاصة مع كلوديا التى دأبت دائماً على أن تكون حميدة الطباع فى مسلكها مع الناس أجمعين ، متحاشية فى ذلك أى عداوة قد تنشأ بينها وبين أى فرد من الناس .

ولكنى أولاً وقبل كل شيء سأستفسر منها لأعرف هل تفضل أن أتصرف معها بأسلوب صارم رسمى عتيق ، أو بطريقة لينة رقيقة مليئة بالمجاملة .. فإن كانت تفضل الأسلوب الصارم ، فلا بد لى من أن أستدعى من دنيا الأرواح أحد أولئك السادة ، طويلى اللحي - ولن تكون لحيته قصيرة كلحية من هى مقيمة به الآن ، ولكنها ستكون لحية كثة كتلك التى نراها فى التماثيل والصور القديمة ... فهذا الذى سأستدعيه ، سوف يزرع السيدة ، متحدثاً إليها بدلاً منى خشية أن تغضب هى منى الآن ... والآن لندع أحد أفراد عائلتها ينهض ، وليسكن أپيوس Appius الضريع ، قبل غيره . فحيث إنه لا يستطيع رؤيتها ، فسيكون من ثم أقل الناس حزناً . فلئن ظهر حقيقة ، لكان تصرفه كالأق ، ولوجه إليها

الخطاب قائلاً : « أيتها المرأة ! ما شأنك مع كايلىوس ؟ ما أمرك مع هذا الصبي ؟ ماذا دهاك مع غريب ؟ وكيف كان رضاك ؟ لم كنت تظهرين له مثل هذا الود ، حتى أقرضته بعض مالك فأصبحت هكذا عدوته ، حتى أصبحت تخشين أن يدس لك السم ؟ ألم تشاهدى أباك وهو فى منصب القنصل ؟ أما سمعت أن خالك وجدك وجد جدك ، وكبير أجدادك كانوا قناصلة كذلك ؟ أتجهلين أن كوينتوس ميتيلىوس كان زوجك ؟ وأنه كان من أبرز الرجال وأشجعهم ؟ بل كان وطنياً غيوراً قضى بمجرد ظهوره فى الحياة العامة على جميع مواطنيه ، وسلبهم المجد والكفاءة والكرامة ؟ ثم لم بعد أن تزوجت من تلك العائلة العريقة الأرومة ، الكريمة المحتد ، الشريفة النجار ، الطائفة الصيت ، وأنت يا من تنحدرين من بيت كريم شريف ، لم سمحت لكايلىوس أن يظهر لك كل هذا الود والحب ؟ هل كان بينك وبينه قرابة ؟ أكان هو نسيبك ؟ أكان صديقاً حميماً لزوجك ؟ الحق إنه لم يكن أحد هؤلاء أجمعين — فماذا ياترى يكون السبب إن لم يكن محض الطيش والشهوه ؟ فإذا لم تحركك صور رجال عائلتنا ، أفما كان أجدى بابنتى كوينتا كلوديا Quinta Clodia أن تشير فى صدرك أن تنافسها فيما تتحلى به من الفضائل العائلية والعفة التى هى أساس مجد المرأة ؟ أفما كان يجب على كلوديا ، تلك العذراء القيسطالية التى كانت متى احتضنت أباهما وهو فى عربة النصر ، لم يجرؤ تريبوناً

من ترابنة الشعب المعادين له ، أن يحاول عزله من عربة النصر
هذه ؟ لم إذن تحاكين رذائل أخ ، مؤثرة إياها على فضائل أب أو
جد عائلة كاملة أنتهى أنا إليها كما ينتمى غيرى من الذكور والإناث ؟
هل رأيتى قد حرمت وطنى من الدخول فى عالم السلام والوثام
مع بيرروس Pyrrhus ، حتى أسرفت بدورك ، فى كل يوم تقريباً ،
فى علاقاتك مع عشاق مغمورين ؟ هل زودتُ أنا المدينة بالماء كى
تستخدمها أنت فى أغراض نجسة ، هل مهدتُ أنا طريقاً رئيسياً
لسكى تترددى أنت عليه بصحبة فرسانك المتيمين .

« ولكن ما هذا الذى أفعله أيها السادة .. فإننى عندما أقدم
شخصية لها مثل هذا الاحترام ، أخشى أن ينشق أيبوس نفسه
فجأة على كاليبوس ويتهمة بصرامة العذول . ولكنى أيها السادة
سأتكلم بالقدر الذى أستطيعه ، وبأسلوب يشعرنى بأننى أخدع نفسى
وبأننى أؤيد سلوك كاليبوس بما قد يرضى حتى أقصى القضاة وأعنفهم .
أما أنت يا كلوديا ، فلتعلمى أننى الآن أوجه الكلام إليك بشخصى
دون التواء أو اعوجاج ، لأنك إن كنت تقترحين كسب رضائنا
عن أعمالك وأقوالك ، واتهاماتك وهجماتك ، ونشاطك السرى ،
فيجب عليك أن تفسرى لنا أسباب تلك الشهرة العظيمة مع موكلتى ،
وتلك الصداقة العظيمة وهذا الود الصارخ .. فإن متهمينا يتحدثون
بصوت عال عن دعايات وحماقات ، وعن ولائهم وغراميات ، وعن

زنى وأغنيات ، وعن موسيقى ورحلات ، وعن مراكب للمتعة
واللهو غير الشريف ، نراهم فى الوقت نفسه يشيعون أنهم لا يتكلمون
بشيء إلا حسب إرشاداتك . وعلى كل فحيث إن مزاحك الممزوج
بالعنف والعناد وصلابة الرأى هو الذى جاء بك إلى ساحة الفورم
وأوقفك أمام هذه المحكمة ، فعليك إذن إما أن تنفى هذه التهم
وتثبت زيفها ، أو ألا تسمحى لدليل واحد أن يقوم بحال من
الأحوال عوناً على اتهامك أو الشهادة عليك . . . بيد أننى لو شئت
التصرف معك فى شيء من المجاملة ، فلن أفعل غير الآتى :

سأعمل على الخلاص من ذلك العجوز الظلف ، الأقرب إلى
البرابرة منه إلى أى شيء آخر ، وأختار أحد أفراد عائلتك وليكن
أخاك الأصغر قبل غيره ، فهو فى أسلوبه مرآة صادقة للأدب ، كما
أنه يهيم بحبك غاية الهيام . وكما يخيل إلىّ كانت تتنابه بالليل بعض
المخاوف والهواجس ، فاعتاد أن ينام إلى جوارك كأى صبي صغير
يرقد مع أخته الكبيرة . فإذا إذن لو راح يخاطبك هكذا . . .

دلم يا أختاه تحداث كل هذه الجلبة والضوضاء ؟ لماذا أنت
فى هذه العاصفة من الهياج ؟ ولم تعظمين مثل هذا الموضوع التافه
وتجعلن من الحبة قبة ؟ لماذا تعطين له هذه الأهمية بصيحاتك
وصرخاتك ؟ لقد ركزت عيونك على جار شاب ، وفتنتك خلقته
وطلمته ، فضلاً عن عيونه التى سحرت لبسك . . . لقد هممت برؤياه

كثيراً : ولقد شوهدت أحياناً في نفس الدار ، وأنت كما تعلين
المرأة ذات الصيت العريض ، وصاحبة الثراء الطائل ... ومع ذلك
فلم تستطيع بحال من الأحوال أن تحظى بحبه الكامل مع أنه كان
ما يزال تحت رعاية أب شديد الرقابة ، إنه يمتن هداياك ويحتقرها
مستخفاً بها ... فلترحلى إذن إلى أى مكان آخر ... وهل نسيت
الدار التى تملكينها هناك بالقرب من نهر التير ، وكيف كنت فى
حين من الزمان فى ألم مبرح كى تؤهلى نفسك لذلك المسكن الذى
لا يبعد عن البقعة التى يستجم فيها جميع شباننا ... كانت أمامك
يومذاك فرصة ذهبية كى تمتعى نفسك كل يوم تقريباً ... فلم
تكلفين نفسك مشقة كل هذا الانزعاج من أجل شخص لا يكن لك
إلا كل احتقار وامتهان ؟

والجدير بالملاحظة أن شيشيرون لا يتملق ولا يداهن : فهو فى
دفاعه عن كايلىوس ضد تهمة الفسق يتكلم بنفس الصراحة فيقول :
« إننى لا أتكلم الآن ضد كلوديا ، بيد أنه لو فرضنا وجود
شخصية أخرى تختلف عنها شكلاً ، واحدة من اللواتى يرتكبن
الفحشاء مع جميع الرجال ، ومن اللواتى لا يستسغن الحياة بدون
شخص يهبهن العطف ويطارحن الهوى جهراً وفى وضوح النهار ،
ومن اللواتى يفتحن أبواب بيوتهن وحداتقهن وحمائماتهن على
مصاريعها لممارسة شتى ألوان الدعارة والفجور . بلى ، واحدة من
اللواتى يحتفظن بشباب يافع وينفقن من أموالهن لسد الثغرات التى

يحدثها الآباء الممسكون المتزمتون الذين لا يعطون أبناءهم إلا النذر اليسير من المال . . . لو أن مثل هذه السيدة تعيش عيشة الدعارة هذه وهي أرملها ، وأظهرت فسق طباعها ودعارة ميوها بمسلكها الشهواني واستخدمت أموالها في أغراض التبذير والإسراف المقيت . ولئن أدى فجورها إلى احتراف الدعارة وانتسابها إلى طبقة المومسات الساقطات ، فهل يمكن اعتبار ذلك الرجل داعراً أوفاسقاً من يتمتع بكامل الحرية في مغازلتها ومطارحتها الغرام ؟ ولكن ألا تنفث جيرة كلوديا أزكى الروائح ؟ وهل صوت الشعب صامت لا يتكلم ؟ أفلا تنطق مياه بايى ؟ إنها لا تتكلم فحسب ، ولكنها تصيح وتصرخ بأعلى صوتها ، بما قد بلغه فجور هذه المرأة الواحدة التي لا تنشد في فجورها عزلة أو ظلمة أو ما شابه ذلك من موبقات الإثم فحسب ، بل وتلتذ كذلك بمزولة ألوان الدعارة أمام جموع الناس . . . فلو اعتقد أحد أن الجماع الحر ولو كان مع المومسات يجب أن يحرم على الشباب ، لا تصف حقاً بالصرامة والفظافة ، بيد أنني لا أستطيع أن أناقضه ، فهو في اعتقاده ، وهذا ما يتحتم على قوله ، لا يختلف عن حرية عصرنا الحالى فحسب ، بل وعمما تعود أبائنا ممارسته والسماح به . . . فهل جاء أبداً زمان قضى فيه بتحريم هذه العادة ؟ ففى وفى أى زمان جاء اعتبارها تهمة أو خطيئة ؟ وفى أى عصر حُرِّم السماح بها دون السكوت عنها ؟ وباختصار ،

هل ورد أبداً زمان حُرم فيه ما لم يكن محرماً من قبل ؟ وإلى الآن
بصدد توجيه سؤال دون ذكر اسم أى سيدة ، ولكنى سأترك لكل
شخص أن يدلى بالحكم الذى يراه : لو أن امرأة غير متزوجة تفتح
أبواب بيتها على مصاريحها لكل زان وفاسق ، ولمن يطلبون الشهوة
والمتعة ، ثم تعلن أمام الملائ أنها مومس ، ومن ثم تقبل الدعوات
من كل غريب . وهب أنها فعلت ذلك فى روما فى بيتها الريفى ، أو
فى بياى ، ذلك المكان الموبوء . . . أى لو أنها لم تظهر أمام الناس
فى مشيتها الماجنة فحسب ، بل وفى ردائها وركبتها من الشباب ، غير
مكتفية بغمزات عيونها وحرية أحاديثها ، بل تعدت ذلك إلى
القبلات والأحضان ، فضلاً عن كل مسلك شائن فى الحمامات
وقوارب اللذة والمتعة ، وفى الولائم والدعوات ، لا لتبدو مومساً
فحسب ، بل ولتظهر بمظهر المرأة الوقحة المستهترة السليطة ، فلو
حدث وشوهد شاب يافع فى صحبة مثل هذه المرأة ، أفتكون
نظرتكم إليه كنظرتكم إلى أى فاسق داعر ؟ ،

« إن أسوأ الإفساد لإفساد خير الناس ، . ولا شك أن النساء
من أمثال كلوديا فى أيامها الأخيرة ، كن فى حاجة ماسة جداً إلى
الفضائل الذاتية التى للجنس اللطيف . . غير أن كلوديا كانت تتمتع
بمفاتيها الخاصة . ولم يكن قبل ربيع عام ٥٧ ق م . حينما جمع كاتولوس
شحات شجاعته للخلاص من تلك العلاقة التى نالت من رجولته

وألحقت بها المذلة والمهانة . ولقد مات أخوه العزيز حينذاك في
 طرود ، ومن ثم وطن العزم على مغادرة إيطاليا والاتحاق بإحدى
 الوظائف في جيش ميمموس Memmius ، حاكم بيشونيا Bithynia .
 ولقد سجل هذا العزم في قصيدتين من أروع أشعاره ، وهما القصيدة
 الثامنة ، والسادسة والسبعون ، وفيهما تنجلي آخر مرحلة من مراحل
 الهجران ، بينما في القصيدة السابعة والثمانين يضع كاتولوس خاتمة
 كل شيء فيقول :

« لن تستطيع امرأة أن تقول
 إنها قد حظيت بالحب
 كما أحبتك يا عزيزي من كل قلبي .
 وليس هناك من رجل
 ثبت إخلاصه لحبيته
 كما عرفتُ أنا يا خلاصي » .

وهكذا في عام ٥٧ ق.م . قطع كاتولوس علاقته الغرامية بكلوديا
 غير أننا لا نجد بين ما كتب من أشعار عقب هذا التاريخ إلا ثلاث
 قصائد عنها . وعند عودته إلى روما متأخراً في عام ٥٦ ق.م وجد
 أن كاليبوس أيضاً قد تخلص من الغادة الساحرة ، وأنها اتهمته أمام
 القضاء واتخذت لنفسها لقب « كوادراتاريا Quadrantaria ، أي
 « المومس الرخيصة لقاء مليات » . وفي القصيدة الثامنة والخمسين

وجهه كاتولوس الكلام إلى كايلىوس وصب جام اللعنة والسباب
على معشوقته السابقة ، : « فييتها بؤرة للدعارة تنتظر فيه الوافدين ،
أما هي فمن اللواتى يُحسِنُ الطرقات بالليل وينغمسن مساومات
في أحط الموبقات ، ..

ولكن رغم هذه الألفاظ القاسية ، يمكننا أن نشك في أن حب
كلوديا كان لا يزال يسرى في دم الشاعر دون استطاعته نسيانها . .
ويحتمل أنها بعد رجوعه ، في الفترة ما بين عامى ٥٥ ، ٥٤ ق . م .
قد حاولت جاهدة إعادته ثانية إلى زمرة أتباعها وعشاقها . وكان
وسطائها اثنين من أقل أصدقائه شهرة ، هما فوريوس وأوريليوس .
ويحتمل أن رد كاتولوس لم يسجله إلا قبل موته المبكر بفترة
وجيزة . . وذلك في القصيدة الحادية عشرة بنهايتها الرائعة :

« ذلك الحب الذى أكرمت هي في حقه

فموت به إلى الحضيض

كما تهوى الزهرة عند حافة الحقل

وقد بترها بسلاحه

المحراث المار بطريقها ، .

وقد يكون ذلك بمحض الصدفة أو بمحض الاختيار ، كما حدث
في أول قصائد كاتولوس عن ليسيا ، أن حاكي فيها الشاعر أحد
أوزان قصائد سافو ، لكن هذا التشابه في الوزن الشعري يؤكد

ذلك الفارق المير بين مشاعر صاحبي القصيدتين... وإلى هنا ينتهى
تسجيلنا لأشعار كاتولوس الغرامية .

مات كاتولوس فى عام ٤٥ ق . م . كما قتل كاليبوس بعد وفاته
بست سنوات ، بينما مات شيشيرون بعده بخمس سنين . أما كلوديا
فقد امتد بها الأجل ، إذ نجد أن شيشيرون فى إحدى خطبه
الآخيرة يسأل أتيسكوس عن أخبار كلوديا ... والمعروف أن
شيشيرون كان أحد المعجبين بل والراغبين فى الزواج من كلوديا
قبل أن يعرفها كاتولوس أو يقع فى حبائل غرامها .

الباب الثالث

أشعار كاتولوس

إن أشعار كاتولوس كما هي الآن بين أيدينا ، توضح ظاهرة من أبرز الظواهر ... ألا وهي التوافق بين محتوياتها .

تختلف أشعار فرجيل وهوراتيوس أيضاً من حيث الروعة والتفوق ولكننا في حالة هذين الشاعرين نستطيع أن نتتبع تقدماً طبيعياً من حيث النمو .. وذلك ابتداء من أناشيد الرعاة Eclogues الفجة ، إلى كمال الأينذة الناضج ، ومن مرارة أشعار الحماس Epodes اليافة والهجائيات المبكرة Satires إلى الحكمة الناضجة التي نجدها في الأناشيد Odes والرسائل Epistles .

أما الأمر مع شاعرنا فبخلاف ذلك على خط مستقيم ، ومهما كان سبب التفاوت فليس للزمن دخل فيه ، لأن كاتولوس مات في سن الثلاثين بعد أن أنجز كتابة جميع أشعاره في السنوات الست أو السبع الأخيرة من سنى حياته . أما كون التفاوت حقيقة ظاهرة للعيان فسوف يتضح بلا عناء لكل من يتحاشى المختارات مؤثراً قراءة جميع أشعار الشاعر التي بين أيدينا .. فبعض الأشعار جميل

رقيق ، وبعضها الآخر سمج في سماجة كل ما هو مكتوب باللغة
اللاتينية : هذا إلى أن بعضها يبرز كمال الواقعية الخفيفة الحية ،
بينما يتجرد بعضها الآخر من كل معاني الحياة لتكون مثلاً في السماجة
وإثارة الملل .. على أن بعضها قصير مقتضب ينحصر في بيتين من
أشعار الرثاء بينما يطول بعضها الآخر إلى أربعائة وثمانية أبيات
من الشعر فتبدو أطول مما هي عليه .. وبجمل القول ، إن أشعار
كاتولوس تتضمن « مزيجاً » من شتى الضروب والأصناف « التي من
بينها » النوع المحزن .

وما بين أيدينا من نصوص كاتولوس الآن يحتوى على ١١٦
منظومة شعرية قام بترتيبها أديب لم يكن شديد الاهتمام بموضوعها
أو بترتيبها الزمني ، قدر اهتمامه بمظهرها الخارجي . وهي تبتدىء
بستين منظومة وجدانية ، تتبعها مجموعة من ثمانى قصائد تفوق الأولى
طولاً ، من بينها منظومة ديليوس وثيتيس Peleus & Thetis ، وكلها
في أوزان شعرية مختلفة ، ثم مجموعة من ثمانى وأربعين قصيدة أغلبها
غاية في القصر يقع في بيتين اثنين من الشعر الرثائي تقريباً ..

أما أولئك الذين تعودوا أن يلبسوا أعمال أى شاعر بعد جمعها
مرتبة حسب تاريخ تأليفها أو وفق موضوعها ، فرأينا فيهم أنهم
يتبعون طريقة لا عقل فيها ولا تعقل . إلا أن اهتمام القدامى بالأوزان
الشعرية كان يفوق كثيراً مدى اهتمامنا بها . وكان لكل وزن شعرى

طابعه الخاص وارتباطاته الخاصة التي تجعله صالحاً بإجتماع الآراء
للون خاص من التأليف ، وتحكم عليه بعدم الصلاحية لأى لون
آخر من ألوان التأليف . بيد أنه كثيراً ما كان يحدث أن يحتكر أحد
شعراء الماضى وزناً شعرياً خاصاً ويعتبره ملكاً خاصاً له . وكان على
الكتاب المتأخرين إعترافاً بامتنانهم له ، أن يتخذوه نموذجاً لهم
ويحاكون ما يدعيه من وزن شعري ...

وهاتان الحقيقتان لا بد من إدخالهما فى الحساب عند الكلام
عن أشعار كاتولوس بالذات ...

ولئن أردت الحق فعندما بدأ كاتولوس يكتب أشعاره الغرامية
لم يكن أمامه نماذج رومانية ... ولما كان يعرف اليونانية ، فقد توجه
إلى مركز الثقافة فى البحر الأبيض المتوسط ... لأن أثينا فى عصره ،
إن كانت مازالت منارة علم ، إلا أنها كانت قد فقدت صيتها وأهميتها
ومكانتها الأولى ، بينما احتفظت الإسكندرية بمركزها كعاصمة للبحر
الأبيض المتوسط ، كما يقول طالب العلم فى حديث عيسى بن هشام
عندما سأله عن مطلع شمس العلم :

إسكندرية دارى لو قر فيها قرارى

لكن بالشام ليلي وبالعراق نهارى

فكانت الإسكندرية مشعل الثقافة والاستنارة فى ذلك العصر
الذى كانت فيه مصر تتمتع بالاستقلال . أما البطالمة فكانوا ملوكاً
عظما . وكان المصريون يكوّنون مع الإغريق أمة واحدة عظيمة .
ومن ثم فقد توجه كاتولوس إلى أدباء الإسكندرية ، غير أنه

لم يكن محاكياً ذليلاً لا دبائناً العطاء ، نظراً لما كان بينه وبين أسلافنا من اختلاف بين .

فكاتولوس أولاً وقبل كل شيء كان غالياً عاطفياً من الوافدين من الشمال ، ولم يكن يعرف تلك القسوة الباردة التي اشتهر بها الرومان القدماء ، ولا تلك الكراهية نحو الأدب العاطفي ...

ولقد عاش أدباء الإسكندرية وفنانوها تحت حماية القصر الملكي وكانوا يكتبون أولاً وقبل كل شيء إرضاء للقصر الملكي وإشباعاً لأهواء أنفسهم لما كان بالمتحف مكتبة وجامعة ، فقد نشأ هؤلاء الرجال أدباء وعلماء ومعلمين لا يكرسون جل وقتهم لغير نقد الكتب القديمة والتعليق عليها .

رفض كاتولوس وأبي أن يحاكي هؤلاء الإسكندريين في عاداتهم وطرقهم العلمية ، وذلك لأنه لم يكن بجمال من الأحوال ناقداً مثلهم فقد كانت أولى أشعاره قصيدة كتبها عن ليسيبيا تعتبر ترجمة لإحدى أشعار سافو . وكان لكاتولوس هدفان من ترجمتها :

أولاً : لأنها كانت خير قصيدة وأصلحها للتعبير عن مشاعره .
ثانياً : لأن القصيدة لو وقعت في يد زوجها ، أو تعرضت للنقد اللاذع ، لكان في مقدوره عندئذ أن يدعي بأنها محض ترجمة لقصيدة سافو منكرأ علاقته بليسيبيا .

ومما لا شك فيه أن كاتولوس في بعض أشعاره قد حاكي

كاليماخوس Callimachus في مراثيه . . . ومع أن كاليماخوس كان من سادة كتاب هذا اللون ، فقد منى كاتولوس بالفشل في كتابته ، لأنه نسي الفارق بين اللغتين اللاتينية واليونانية ، وتناسى طبيعة الشخصية التي تختلف عن طبيعة كاليماخوس .
أما خير مراثاة كتبها كاتولوس فتلک التي نظمها عندما توفي أخوه (القصيدة ١٠١) .

وما لاجدال فيه أن كاتولوس عندما ترجم منظومة سافو ، كان يعبر عن مشاعره الشخصية وعن عواطفه ناقلاً إياها عن اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية .

كان كاتولوس يقلد الوزن اليوناني على النمط الذي كان يتبعه كاليماخوس في كتابة مراثيه ، مصدرّاً القصيدة بصفات وألفاظ كثيرة غير مفهومة ، مقتبساً هذه الصفات من الأساطير . . . فلقد حاول كاتولوس كتابة أشعار مفعمة بالشفافة ، ولكننا في الواقع نحب كاتولوس لما يكتبه تلقائياً ، لا لما في أشعاره من علم وثقافة .

كان كاتولوس يترجم ترجمة حرفية ، ولقد ثبت هذا بعد اكتشاف ما نقله نقلاً حرفياً عن بعض كسر كاليماخوس . فقد كانت أشعار الأخير مفقودة ، فلما عثر على بعض كسر منها ، وجدنا أن كاليماخوس قد استعمل فيها جميع كلمات كاتولوس ، مشيراً إلى جميع الأساطير الواردة في منظومة كاتولوس ، ومقتراً نفس الأخطاء التي ارتكبها كاتولوس .

وإذ انحدر كاتولوس من عائلة ثرية ، فقد اختلط مع عظماء
الشخصيات ... ومقت يومى لانضمامه إلى قيصر ، كما مقت قيصر
كزعيم للعامة ... أما هجوم كاتولوس على قيصر فقد كان غاية في
القسوة ، ويعلق كوينتيليانوس Quintilianus على ما ورد بالمنظومة
الثالثة والتسعين عن قيصر بأنه محض جنون ، إذ كيف يجرؤ كاتولوس
فيتكلم بهذه الطريقة وتلك اللهجة عن رجل له عظمة قيصر ومكانته
في التاريخ ... ولم يكن هجاء كاتولوس ليومى بأقل من هجائه لقيصر
رغم حرصه على عدم ذكر اسم يومى بقوله : « أيها الحم ، لقد
دمرت كل شيء » .

كان كاتولوس زعيم المدرسة السكندرية وكان صديقه كالثوس
Calvus زعيم المدرسة الأتيكية فوقف كاتولوس إلى جانب صديقه
ضد شيشيرون ، والحقيقة أنه ليس لدينا برهان واحد يؤيد ذلك ،
ولكن هناك إشارة به فيما كتبه شيشيرون إلى الشعراء الجدد بعد
وفاة كاتولوس بعشر سنوات .

أما القصيدة التاسعة والأربعون التي وجه فيها كاتولوس كلامه
إلى شيشيرون قائلاً إنه خير الخطباء ، وأفصح أحفاد رومولوس ...
ناعتاً نفسه بأنه أسوأ جميع الشعراء ، فتدفعنا إلى التساؤل عما فعله
شيشيرون حتى يستحق كل هذا الإطراء والتقريظ ، وما تضمنته
المنظومة من عبارات الشكر على لسان كاتولوس ... غير أن هناك

احتمالاً في أن هذه القصيدة كتبت بهذا الأسلوب من باب السخرية ،
إذ لم يكن هدف كاتولوس مدح شيشيرون بل ذمه ونقده ، وذلك
لأن كاتولوس كان يعتبر صديقه كالقوس أفصح خطباء روما قاطبة
ولا أحد سواه ... وهكذا نعثر على دليل قاطع بأن كاتولوس لعب
دوره في تلك المعركة الأدبية التي قامت بين شيشيرون من جهة وبين
كالقوس وآخرين من جهة أخرى ، لقد كان كل إعجاب شيشيرون
منحصرأ في الشاعر القديم إينيوس Ennius ، ولم يكن لديه وقت
لشعراء الإسكندرية أبداً .

أما أشعار كاتولوس فقد صدرها الشاعر بقصيدة للمؤرخ
المشهور كورنيليوس نيبوس ، ويبدو أن كورنيليوس كان معجباً
بأشعار كاتولوس نظراً لأنه شمالي مثله .

كان كاتولوس رائد شعراء الوزن الحادي عشر ، لأن معظم
أشعاره الوجدانية تتركب أبياتها من أحد عشر مقطعاً ... أما الوزن
السداسي فقد اكتفى باستعماله في مطولاته ، بينما استعمل في مراثيه
الوزنين السداسي والخناسي معاً ... ولكن ما من شاعر آخر قد كتب
شعراً من الوزن الحادي عشر في جمال ما كتبه كاتولوس بهذا الوزن .
كان كاتولوس شاعراً فطرياً إنبعاثياً تلقائياً ، ولهذا كانت
أشعاره رقيقة ، حرة طليقة ، والعجيب في أمر كاتولوس أنه في
الأشعار التي يبدو فيها مقصراً أو مهملًا ، نراه يبذل مارتيا لوس

Martialus وبيترونيوس Petronius ، وهما الرومانيان الوحيدان اللذان كتبوا بالوزن الحادى عشر ...

أما النقص الذى نلسمه فى مرأى كاتولوس ، فرجعه محاكاة النماذج الإغريقية .

إن أول ميزة لأسلوب كاتولوس هو أنه « طبعى ، خال من التكلف الممقوت ، ولا يستخدم فيه أى ألفاظ متكلفة . ومن ثم كانت أشعاره الوجدانية جديرة بمقارنتها بأى أشعار وجدانية كتبها أى شاعر إغريقى أو روماني .

ولو شاء فرجيل أن يكون انبعاثياً ذاتياً لما أمكنه أن يصل إلى الدرجة التى وصل إليها شاعرنا كاتولوس .

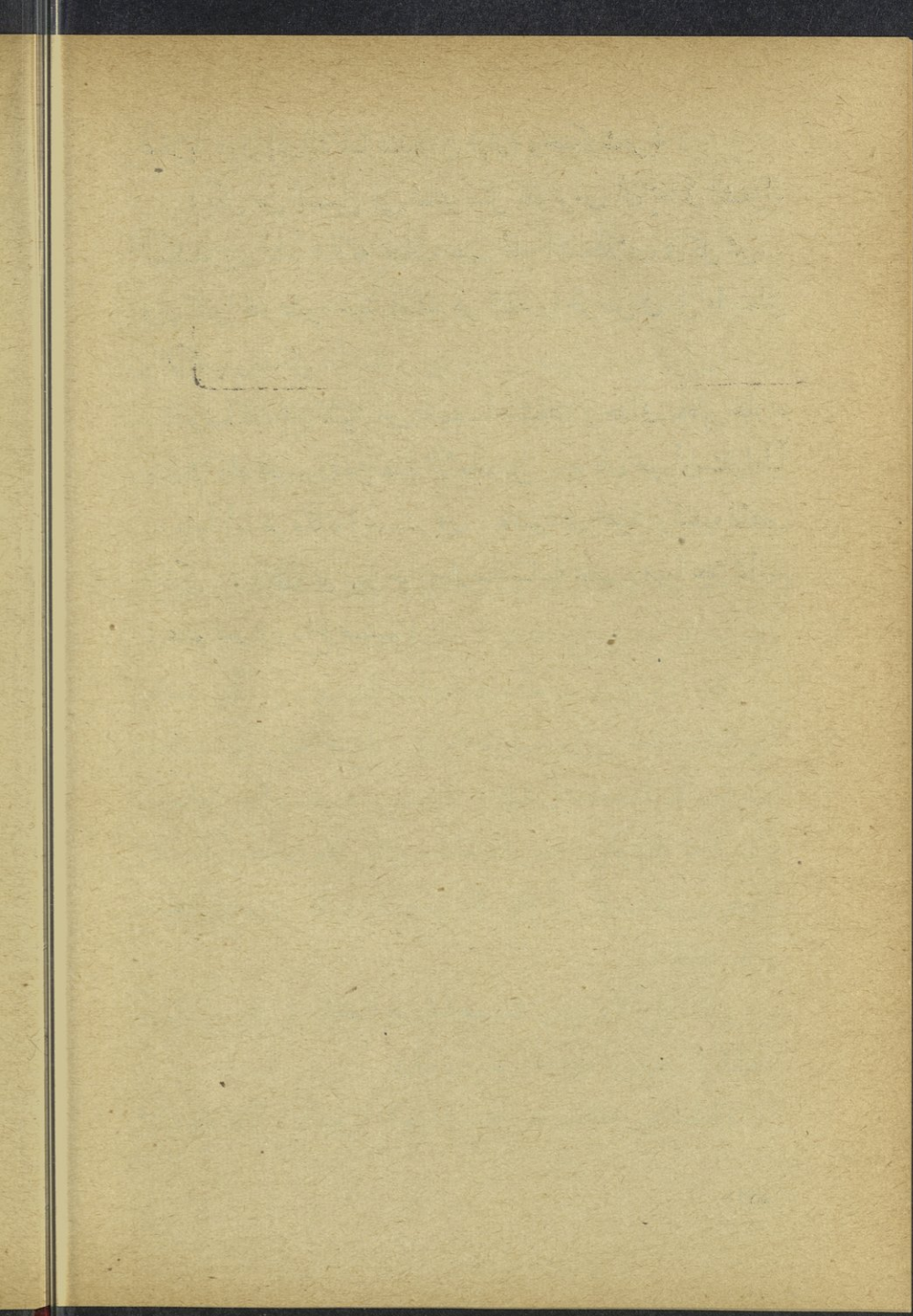
كان كاتولوس مغرمًا بالمصطلحات اليومية ، ولم يكن يتحاشى أى كلمات عامة . بل وصل به العشق وبلغ به الهيام إلى استخدام عبارات قد تستخدم فى الكلام المرسل البسيط والنثر العادى . وكثيراً ما كان يكرر نفس الألفاظ . وبجمل القول وقصاراه ، كان كاتولوس يكتب كل ما يحلو له ويروق فى ذوقه ، ويسجل جميع ما يمر بخاطره .

ولقد أباح كاتولوس لنفسه الحرية المطلقة فى كل ما يكتب . ولذلك كان عبقرىً دون أن يعرف ذلك .

ولذلك فهو يختلف عن جميع الشعراء الرومان ، لأنه كان فناناً

عبقرياً دون إدراك لما عنده من مهارة وحسنة شعرية .
لم يكن من السهل على شاعر مثل كاتولوس أن يحاكي الشعراء
السكندريين تماماً ، لأنه يختلف عنهم تمام الاختلاف في كل شيء .
وإن كانوا قد علموه شيئاً فذلك هو النقد والحرص في كل ما يتعلق
بالتركيب والشكل ...

ومما كان يميز كاتولوس عنهم ، أنه شاعر وجداني عاطفي حار ،
بينما هم نقاد مجردون من هذه الأحاسيس . . . كان هو أرسطقراطياً
رومانياً أما هم فكانوا مستشرقين ، عاشوا في حماية وكنف القصر
الملكي ، بينما كان هو يهيم حياً بمعارضة سياسة عصره مهما علا شأنهم
وعظم قدرهم وذاع صيتهم .



الباب الرابع

قصائد كاتولوس

في حب ليسيبيا

إِنَّهُ
لَقَرِينُ الْإِلَهِ
كَأَيْدٍ وَلَنَاظِرِي
إِنَّهُ أَسْمَى مِنْ الْآلِهَةِ
لَوْ كَانَ ذَلِكَ مُمْكِنًا
مَنْ إِذَا جَلَسَ تَجَاهَكَ
رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيْكَ
وَوَظَلَ مُبْحَقٌ فَيْكَ

مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
فَيَسْمَعُكَ تَضَحُّكِينَ
فِي عَذُوبَةٍ مَطْرِبَةٍ
إِنْ هَذَا ، يَا لَيْسَبِيَا
يَسْلُبُنِي جَمِيعَ مَشَاعِرِي
فِيَا لَتَعَاسَتِي وَشَقَاتِي !
فَكَلِمَا أَرَى طَيْفَكَ
يَنْعَدِمُ صَوْتِي عَلَى الْفَوْرِ
وَيَحْتَلِجُ لِسَانِي فِي فِي
وَيَدِبُ فِي سَائِرِ أَوْصَالِي
سَعِيرَ لُظِّي رَقِيقَ
وَيَجْلِجُلُ آذَانِي
بَطْنِينَ دَاخِلِيَّ
وَيُتَحَجَّبُ عَيْنَايَ
فِي أَكْفَانٍ مِنَ الدَّجَى

عصفور فتانى
 أَى
 يا جل سلوتها
 ومن تداعبك
 قابلاً في حجرها
 وتعطيك أنملتها
 عسى أن تنسقرها
 وتحثك دائماً
 لتجسد في التنقير
 كلما ألحت على فتانى
 فتاة حى المشرقة
 رغبة في أن تلهو
 آملة أن تجد
 كما مخيل إلى
 بلسماً لجراحها
 يوم تخبو في قلبها
 لواعج الحب المتأججة
 أه لو أستطيع مداعبتك
 كما تداعبك هي
 فأزيح عن قلبي
 أنقاله المبرحة

العشق والهوى
 يا هـل
 وكل من تختصم بعطفها فينوس
 نوحوا... ثم نوحوا... ثم نوحوا
 فعصفور حبيبتى قد طواه الردى

* * *
 كان هذا العصفور دعاة غادى
 وكانت تجبه كعينها
 لأنه كالشهد حلاوة
 ويعرف سيدته
 كما تعرف أى بنت أمها

* * *
 وعصفور فتاتى يهيم بحجرها
 يقفز فيه من هنا ومن هنا
 ويخصها بالغناء وحدها

* * *
 والآن يا عصفور غادى
 أنت تجتاز طريقاً
 فى دياجير الظلام
 لا يعود منه فرد
 كما أجمع الآقوام

* * *

أى رب العالم السفلى! أى رب الظلمات!
لعنتى عليكما ، لعنة ما لها مثال
فقد سلبتما عصفورها
وكان آية فى الجمال

* * *

أى عمل من الشيطان هذا
آه يا عصفور الحبيبة
يا عصفورها الصغير
واحسرتاه عليك يا عصفور

* * *

محبوبتى تقررحت عيونها
من عدم النوم وطول العويل
فأضناها الفراق ولوعته
وشوقها إليك وإلى تغريدك الجميل

* * *

غنّ لفتاتى أيها العصفور غنّ
فموتك المبكر وفراقك حالا
قد أدميا عينيها حرقه وبكاء
فحرام عليك ورحمة بفتاتى.



اى لىسبىا ، اى حبىتى وحياتى
 تعالى نعيش فى دنيا الغرام
 لا نبالى بحديث العجائز
 فهم من التزمت بمكان
 وكلامهم سخافات وهراء

* * *

تغرب الشمسوس مساء
 لتشرق من جديد فى الصباح
 أما أنا وأنتِ فليس لنا
 متى غاب عن ناظرينا
 شعاع الحياة القصير
 إلا أن نسام طويلا
 فى ليل ليس له صباح

* * *

هيا أعطنى ألف قبلة ثم مائة
 ثم ألفاً أخرى ، من بعدها مائة
 وبعد الألف الثالثة ، هات مائة وهكذا
 حتى إذا طبعنا على الشفافة
 آلافاً من القبلات
 كففنا عن العد
 لاختلاط الأرقام

فلا ندري كم ارتشفنا من رضاب

✱ ✱ ✱

ويحك يا حبيبتي ، ثم ويحك
وحذار أن تنسى الحسود
فعينه الشريرة لو أحصت قبلاتنا
لها لها ذلك الفيض العظيم
فتبأ لها ، ثم تبأ لكل حسود



تسأليني يا ليسيا
 كم قبلة من قبلاتك
 تشفى غليلي وتكفى
 أو تزيد لتطفى الأوار
 فأقول عدسى رمال ليسيا
 وذرات تربتها الخصيبة
 ما بين معبد جوبيتر اللافح
 والقبر المقدس لباتوس العجوز
 أو بقدر نجوم السماء
 وسط القبة الداجية
 التي إذا عسعس الليل اطلعت
 على اختلاس العشاق لشهد الهوى
 فإن تقبيلك يا ليسيا
 قدراً كذا من القبل
 فيه ما يكفى كاتولوس
 حبيبك المقيم المجنون
 وما يزيد على الكفاية
 فما أحلى هذه القبلات
 التي لن يستطيع العدو عدها
 بعيونه اليقظة الفضولية
 ولا مجال لأخى الشر
 أن يحسدها بلسانه الثرثار

عزیزی کوتیوس
 این شدت من کاتولوس
 آن یفدیک بمقلتیه
 او بما هو اعز منهما
 لو صح وجود الاعز
 فاتركه ولا تسلبته
 ما هو اثن عنده
 واعلی من عزیز عینیه
 او یزید وبعظم .



الكثيرون كوينتيا

جميلة فتانة

يرى

لكنها في عيني

أزكى من الريحانة

مليحة القسمات

بمقلة وسمانة

مشوقة القوام

طويلة فرعانة

ولا أنكر أبداً

بلوغها في كل حالة

حد الكمال طبعاً

دون شك ولا إطالة

ولكنها ليست جُمْلَةً

جميلة في ناظرى

فالجمال عندى لا يعرفها

كما هي لا تعرفه

ولا أخال جسمها

تبدو به ذرة واحدة

تغربنى فأستسيغها

أما فتاتي ليسيا
فكلها حسن وكلها إغراء
إذ قد سرقت من السيدات طراً
كل فتنة وكل بهاء
فاختصت بالجمال وحدها
دون سائر النساء .



تسىء ليسبيا القول في

دائماً دائماً

وسيرقى على لسانها

دائماً دائماً

فليتني أموت ، وليتني أندثر

لو كانت ليسبيا حقيقة

لا تحبني لا تحبني

وأى دليل عندي ؟

وعلاقتها معي

هي ، هي كما هي

* * *

إنني أصب عليها اللعنة

دائماً دائماً

ولكن هل لي أن أموت

لو أنني لا أحبا

لو أنني لا أحبا



أَيْ سِفْزَرُ ثُولُوسِيُوسِ التَّارِيخِي
 أَيْ تِلْكَ الصَّحِيفَةُ الدَّنَسَةُ
 هِيَ وَنَفَذَ النَّذْرَ
 مِنْ أَجْلِ حَبِيبَتِي
 فَإِنَّهَا قَدْ قَدِّمَتْ
 لِقِينُوسِ الْمُقَدَّسَةِ
 وَكَيُوبِيدِ الْمُبَارِكِ
 نَذَرَهَا وَنَصَّه :
 لَوْ أَنِّي عَدْتُ
 ثَانِيَةً إِلَى حَبِيبِهَا
 وَكَفَفْتُ عَنْ قَذْفِهَا
 بِأَشْعَارِ الْهَجَاءِ
 ذَاتِ الْوِزْنِ الْمَفْعُولِ
 فَسَوْفَ تَعْطَى الْإِلَهِ
 ذَا الْقَدَمِ الْعَرِجَاءِ
 خَيْرَ مَا كَتَبَ وَأَتَنَجَّ
 أَسْوَأَ الشَّعْرَاءِ
 كَيْ يُدَمَّرَ حَرْقًا
 بِحَطَبِ شَجِيرَةِ لَعِينَةٍ

* * *

وَلَقَدْ رَأَتْ فَتَاتِي
 أَنَّكَ أَسْوَأُ الْأَشْعَارِ

التي نذرتها للآلهة
في نوبة من الفرح
ولحظة من المرح
والآن بربك ،
أيتها المولودة
من البحر الأزرق
يا قاطنة إيداليوم المقدسة
وأوربي الفسيحة الأرجاء
يا مقيمة في أنكونا
وكنيدوس ذات الأحراش
وفي أماثيوس وجولجي
وفي منطقة ديراخيوم
ملتقى البحر الإدرياتي

* * *

هيا سجّلي في سجلك
أن النذر قد وُفيَّ
وُقدم كما اشترط
ولم يكن سقيا
ولا عديم الرواء

* * *

تعال في الوقت نفسه
تعال إلى النيران
يا سفير ثولوسيوس التاريخي
يا أيتها الصحيفة الدنسة
يا حشاشة السداجة
يا لمامة السماجة



تحدثني ليسيبيا
 في حضرة زوجها
 بما لا يُستباح قولاً
 ولا يُستساغ سمعاً
 ماجنةً سادرة
 خالصة مستهترة

* * *

ولأقوالها هذه
 في نفس بعليها
 أبلغ السرور وأعظمه
 فياله من غفل أحق

* * *

فيأبها البغل الغي
 لست تفهم شيئاً
 يا عديم الإحساس
 ويا قصير النظر

* * *

لئن نسيتني ليسيبيا
 وقنعت بالصمت الطويل
 برأ قلبها
 وصح جسمها

* * *

ولكنها في الحقيقة
تنصب لي شباكها
وتكثر من حديثها
فتنجلي أسرارها

* * *

وهذا يعني أنني
أحتل كل عقلها
وأنها لا تذكر غيري
ولا أحداً سواي قط

* * *

وليس كل ذا فقط
بل يرمي لشيء خفي
أشد من هذا وأنكي
والخفي في كل أمر أعظم

* * *

فجئلاً مغزاه أنها
تحمل لي غيظاً دفيناً
فإذا بالقلب منها يشتعل
ولظى الهيام يستعر
فتبدؤني مُعَاذِرَةً
قولاً ولفظاً سادراً .

أبدور في خُلْدِكَ أبدا
أنه في استطاعتي
أن أقول عن حياتي
ما يفرح الأعادي
فأتحدث عن حبيبتي
بالسوء والضرر معاً
وهي التي أعزها
أكثر من عيوني
كلا وأيم الحق كلا
فما يمكنني أبدا
أن آتي فعلاً كهذا
ولو سلمنا جديلاً
أني فعلت هذا الأمر
ما كان حبي لك
هكذا مبتذلاً
ولا قبيحاً هكذا
ولكنك مع تاپو
تبالغان دائماً
فتهولان اليسير
وتجسمان النقيير .

إن
مما يسعد المرء
ويفرح قلبه وعقله

أن يتوق إلى الشيء
في شوق جارف
فلا تحسوه أو تداعبه
كي يقتنيه ويمسكه
بارقة من أمل

ومصدر غبطتي وسعادي
اللتين هما في ناظري
أعلى من النضار قيمة
أن تقيني يا لسيبيا
وتعودي ثانية إلي
فقد أضناني في صبايتك
كل شوق عارم

بلى ، لقد برح بي الهوى
والشوق إلى جسمك البض
بيد أنه لم يحدث قط
أن داعبني الأمل
في أن تلي رغبتي
فتعودي إلى حظيرتي

أيها اليوم السعيد
أيها المفعم باليباض
إنك لأنصع ما رأيت
منذ وجودي في الدنيا
قل لي بربك صادقاً
هل أحسست في الدنيا بمخلوق
أسعد مني حظاً ؟

* * *

أصدقني أيها اليوم المجيد
ولا تحش لوم اللاتمين
أى كائن آنت في العالم
يمكنه أن يثبت ويقول
إن في الحياة حظاً
يتوق إليه التائقون
أكثر من حظي هذا ؟
أو هل يوجد في كنوز الدنيا
ما يطعم فيه المرء
أعظم من سعادتي هذه ؟



دارَ حَى من الدنيا
يسأل النساء قاطبة

لو

ما رأى واحدة منهن
في مقدورها أن تدعى
أن شخصاً ما قد هَامَ بحبها
أو أن امرأة قد 'جَنَ صِباة'
بعشقها وغرامها
كما جَنَّتْ أنا
بحبك يا ليسديا
يا محبوبتي أنا وحدي

فلو دُرِستُ قصص الأولين
وأساطير الحب أجمعها
ما عرفت روعة الإخلاص
الذي فاقت به واتصفت
أسطورة هيامي بحبك
وقصة غرامي بشخصك



تقول حبيبتى
لا يروقها امرؤ
كما أروقها أنا
زوجاً أشاركها الحياة
ولو أن جوهرها
بمجدته وجلاله
وسأل أن يتزوجها
طالباً يدها
لردته عنها خائباً
يجر أذيال الفشل

* * *

وكذا تقول حبيبتى
إن ما تهمة الفتاة
فى أذن حبيبها
الصب غراماً فى هواها
لا بد وأن يسجل ثواباً
على نسيمات الرياح
وفوق صفحات المياه
السريعة الجريان

لقد اعترفت يا ليسيبيا
 ذات يوم علناً
 وجاهرت أمام الملائكة
 بأن صديقك الأوحـد
 ليس سوى كاثولوس
 وكان من عادتك أيضاً
 أن تقولي وترددي
 بأنك لا تفضلي
 أحداً على ولا تؤثرى
 حتى ولو أنك چوبيتر
 وطلب صداقتك بنفسه

* * *

وكنت يومئذ أحبك يا ليسيبيا
 لا كما يحب السابلة
 سيدة أو فتاة عابرة
 بل كما يحب الأب أبناءه
 وكما يحب أيضاً صهره
 وهأنذا الآن يا ليسيبيا
 أتمتع منك بالصدقة

ورغم أن عواطفى
على أشدها وتضطرم
ورغم أن قلبى
متأجج بحبك
ويزداد فى التلظى
والاحترق والتردى
فإنك فى ناظرى
أحط قيمة وأقل شأنًا

* * *

أراك تسألين
وكيف كان ذاك ؟
فرددى عليك دائما
يكون فقط قاسيا
لأن إهانة كهذه
إن تلحق أبدا محبًا
دفعته من توها
إلى المزيد فى الهوى
وساقته إلى الحماقة
أو الإقلال من شأن الصداقة



إتني أكره وأحب
 وأمقت وأود
 وخليق بك أن تتساءلى
 ما العلة فى هذا ؟

* * *

فأقول يا حبيبة قلبى
 علم ذاك ليس عندى
 ولسكن هذا أحاسيسى
 وأحاسيسى تمنع فى عذابى.



« إن ليسبيوس لفتى رشيق »

وما الغرابة في ذلك ؟

طالما إن ليسبيا

تفضّله عليك يا كاتولوس

وعلى جميع قومك طرا

* * *

ولكن دع هذا الفتى الرشيق

يبيع كاتولوس وعشيرته

إن حظى بتزكية

ثلاثة من معارفه .



ألا فاعلمي يا ليسيا
أن عقلي ضل السبيل

هكذا كما تبصرين
وليس غيرك يا ليسيا
مستولاً عما حلّ بي

فبجريتك يا ليسيا
قد حطم الإخلاص قلبي
وصيره خراباً بلقعا
هكذا كما ترين
حتى أنك لو أصبحت
الآن خير السيدات
لما استطاع مطلقا
غمرك بالآمانى الطيبات
ولما أمكنه نبذ حُبِّك
مهما اقترفت منكراً
أو أتيت من الأفعال
أشر ما يخطر بالبال



اما بان منك يا روفوس حقاً ؟
أحقاً ، وأنا صديقتك ؟

لقد وثقتُ بك عبثاً
وعبثاً كنت أثق بك
كلا وأيم الحق كلا
فقد كنتُ أغلى الثمن
وكان ثمناً باهظاً
إذ قد سمحت لك
أن تتسلل إلى أعماق نفسي
وتضرم النيران في أحشائي
بعد أن مزقتها إرباً
وتسلبنى أنا المسكينة
جل سعادتي وهنائي
أواه . . . واحسرتاه
يا من سلبتني نفسي
وأقصيتها عني وأقصيتني عنها
يا ترياق نفسي وسمها
وزعاف حياتي القتال
فيا ويلاتي وحسرة على الشباب
يا من قتلت صداقتي
ودفنت آثارها بيديك .

إليك أقول كف
كف وألف مرة كف
كُفَّ أن تنتظر

من سائر البشر
رد الجميل بالشكور
ولا الشكور على الجميل
وإليك أقول إياك
إياك وألف مرة إياك
إياك أن تعتقد

أن من بين البشر
من للجميل عنده قدرٌ
من فضة أو ذهب
إن الجمائل كلها منكورة
فالجميل فعله لا يحتسب
يُنسى ويطويه الزمن
وما فعله مشوب بالتعب
بل حسب عقابه الأذى
فضلا عن المشقة والنَّصَب
وهذه هي الحال معي

فالآن لا يغضني
ولا يمعن في إزعاجي
سوى الذى استأثر بي
ولم يتخذ له صديقة
إلاّ من دون البشر



أَمِنْ لَبْؤَةٍ فِي جِبَالِ لِيديَا
 قَدْ وُلِدَتْ يَا قَالِسِيَّةُ ؟
 أَمْ مِنْ وَحْشٍ ذِي سِتَّةِ رِءُوسٍ
 يَقْبَعُ فِي بَرْزَخِ مَسِينَا
 قَدْ نَشَأَتْ يَا ضَبْبُوعاً ضَارِيَةً ؟
 حَتَّى تَزْدَرِي وَتَحْتَقِرِي
 نَدَاءَ ذَا الْمَتَضَرِّعِ
 فِي أَشَدِّ سَاعَاتِ حَاجَتِهِ

* * *

أَوَاهِ مِنْكَ يَا عَاتِيَّةُ
 فَإِنْ قَلْبُكَ صَخْرٌ
 فِي الْقَسْوَةِ الْمَتَنَاهِيَةِ



أى كاتولوس !
 أيا الشقى التحس

كف عن حماقتك

واعتبر ما ضاع منك

كأنه لم يكن

كانت أيامك فيما مضى

ساطعة مشرقة

يوم كانت عادتك

مرافقة حبيبتك

أينما رغبت وحيثما اشتيت

وكانت يومئذ تحظى بحبي

كأن تحظى فتاة أبداً بحُب

وحيثما كنت يومذاك

تمتعت بفيض المداعبات

التي كنت تمنع فيها

كما تمنع فيها فتاتك

حقاً ما أسعد تلك الأيام

التي أطلت عليك بمشرقها

بيد أن معشوقتك

بعد كل هذه المتعة والهناء
ما عادت ترغب فيك أبداً
فعليك إذن أيها المجنون
أن تكف عن الرغبة فيها
بل وتعدل عن اقتفائها
فهى تكويك بهجرانها
وإياك ثم إياك أن تعيش
مكموداً حزين الفؤاد
ولا ذليلاً مهيض الجناح
ولكن تأس بعقل رزين
وكن حازماً شديد المراس
وداعاً ، حبيبتى ، وداعاً
فكانولوس الآن حازم
إنه حازم شديد المراس
ولن يلج أبداً فى طلبك
وهو مغلوب على أمره
ولكنك لن تلومى غير نفسك
يوم لا يرغب فيك أحد
حسراتى عليك ولعناتى
أيها المخلوق التعس

ما أتعس الحياة التي تنتظرك !
فمن ذا سيطرق باب مخدعك ؟
ولمن سوف تبرجين ؟
ومن ستحيينه الآن ؟
وما اسم الحبيب الذي ستنادين به ؟
ومن الذي سترثشفين شفقيه ؟
أما أنت يا كاتولوس
فكن حازماً صارماً
ثابتاً شديد المراس



إِنْ
 إن يجد المرء لذة ما
 في استعادة ذكرى صنيع قديم

يوم يعتقد أنه صديق صادق

لم يحنث قط في يمين مقدس

ولم يخدع الناس أبدا

تحت ستار مجد الآلهة

في أي عهد له معهم

ففي حياتك الطويلة إذن،

مباهج جمّة يا كاتولوس

تستطيع أن تسخلصها

من حبك المجحود هذا

فما من جميل أو صنيع

يستطيع أحد فعله

بالقول إن يكن أو بالعمل

إلا وقت يا كاتولوس

بإنجازه قولا وفعلا حتى تتم

بيد أن صنائعك وجمائلك

إلى ذلك القلب المجحود

قد ضاعت في مهب الريح

فلم تعذب نفسك يامعان؟

لم لا تقطع برأى أخير؟

لم لا ترجع إلى الصواب ؟
ولم لا تكف عن الباساء ؟
رغم عين الآلهة
لا ريب أنه أمر عسير
أن تتخلى بغتة
عن حُب طال عليه الأمد
إنه حقاً لأمر عسير
ولكن لا مناص من فعله
سواء رضيت أو أبيت
فهذا وحده سبيل الخلاص
وهذا وحده ما ستعمله
عليك وربي أن تفعله
سواء قدرت أو عجزت
أيها الآلهة !
لو أن الرحمة من شيمتك
لو أنكم حقاً قد ساعدتم
أحداً من الناس في الرmq الأخير
فلترعوني في محنتي
ولئن ثبت لكم طهر حياتي
فليتبعوا عني هذا البلاء
ولترحموني من هذا الدمار
فيا ويحي مصيبتاه
ما هذا الفتور ؟

الذى يدب فى أوصالى
 فأخلى قلبى وفؤادى
 من شتى مباهج الحياة
 إتنى ما عدت بعد اليوم أطلب
 أن أحظى بحب حبيبتي
 أو أنها - وهذا محال
 ترضى معى بعلاقة طاهرة
 عندئذ أستعيد صحتي
 وأتخلص من مرضى الفتاك
 أو اه ! أيتها الآلهة
 حسبك أن تمنحني كل هذا
 مقابل إيماني وتقواي



ليسيتنا ، يا كايوس ،
 ليسيتنا التي أحبا كاتولوس
 فأحبا أكثر من نفسه
 بل وأكثر من جميع أقاربه

* * *

إنها الآن في مفترق الطرق
 وفي الأزقة والحواري
 تقوم ياشباع الشهوات الدينية
 لنسل ريموس النبل
 ذى العقل الراجح والرأى السديد



أَيْ فوريوس وأوريليوس
 يارفيقي رَحل كاتولوس
 سواء شق طريقه إلى الهند النائية
 حيث الشاطئ تتلاطم عنده
 أمواج الشرق الصاخبة
 أو توغل في هيركانيا
 وبلاد العرب الملساء
 وسواء زار السكيثيين
 أو البارثيين المحاربين
 أو توغل في السهول الناضرة
 التي يصبغها النيل بفروعه السبعة
 وسواء عبر جبال الآلب الشاخنة
 ليرى آثار قيصر العظيم
 ويشاهد نهر الرين العالي
 ويبصر البريطانيين المهولين
 القاطنين أقاصى المعمورة
 يأبىها المستعدان لهذه الأهوال كلها
 مهما كانت إرادة الآلهة
 أعلمنا فتاق واحملا إليها
 هذه الرسالة القصيرة
 غير الرقيقة ولا اللطيفة
 بلغها ألا تنتظر مني

حُبًّا كسابق عهدها بي
فينا مضى من الزمان
ذلك الحب الذي بخطها
حطمته وهوت به إلى الحضيض
كما تهوى الزهرة على حافة المرعى
وقد بترها بحد سلاحه
عندما مر بها المحراث



٤٣

سيدتى ، إليك تحيتى
يا طويلة الأنف
يا بشعة القدمين
يا ذات العيون الكالحة
يا قصيرة الأنامل
يا مبلة الشفاة
يا ذات اللسان غير العفيف
إنتى أحبيك
يا صديقة مفلس فورمياى
أأنت هى الجميلة الفتانة
التي يتحدث بذكرها أهل الولاية؟
أبك تقارن لسيديا حبيبتى؟
لعمري ! يا لهذا الجيل !
ويا لقلة ذوقه !
ويا لسوء نشأته !



الباب الخامس

غراميات كاتولوس الأخرى

تطالبني أميانا الشمطاء
لقيام قبلة واحدة
بعشرة آلاف كاملة
تلك السيدة المفطوسة الأنف
صديقة مفلس فورمياي
فيا ذوى قرباها
وأولياء أمور هذه الفتاة
هيا اجمعوا الأصدقاء ، هيا
ونادوا الأطباء ، هيا
فأميانا ليست سليمة العقل
إنها لا تكلف نفسها
سؤال المرأة مطلقا
عن جمالها أو شكلها

أى أوفيلينا

كثيراً ما نذكر الصديقات الطيبات
بكلمات الإطراء والمدح
لأنهن يؤدين العمل
ولهن يدفع الثمن
أما أنت فلست صديقة صدوقة
لأنك قد وعدتني
وباطلاً كانت وعودك
أنت تأخذين كل شيء
ولا تعطين أي شيء
وهذه خدعة حقيرة

فالإذعان أمر مليح
وعدم الوعد شيء جميل
ولكن أخذك كل ما تقدرين عليه
وسلبك كل ما يملك المرء
ولا تبرين بوعدك لقاء ما تأخذين
ليظهرك أمامي امرأة
في غاية النهم والجشع
بما يفوق حد المألوف
بين أسفل الساقطات الخليعات

أى أوفيلينا

إن حياة الزوجة مع بعلمها
دون رجل سواه
يتوج العرائس بأكاليل المجد
ويهن غاية السعادة والهناء
بيد أن الأفضل لك
أن تعيش مشاعاً
من أن تكوني أمّاً
ثم تنجبين من أحد أعمالك
أبناء يكونون إخوة لك



أى جوفيتيوس
يا ذا العيون المعسولة

آه لو كان يسمح لى
بالمضى فى تقميل عيونك
لطبعت عليها ثلثمائة ألف قبلة
ولما اقتنعت بعدئذ
بأنى أخذت كفايتى
كلا وأيم الحق كلا
لا ، ولو كان حصاد قبلاتنا
أكثر من سنابل القمح الناضجة



روفا، القادمة من بونونيا
 زوجة مينينوس
 والتي كثيراً ما أبصرتها
 بين ممرات القبور
 تسرق قرايين اللحوم المطبوخة
 من فوق أكوام الخطب

☆ ☆ ☆

عندما أقبلت تجرى
 خلف رغيف يتدحرج
 من بين ألسته اللهب
 أمسك بتلاييدها
 عبداً لحاد نصف حليق



يهيم كاليوس بحب أوفيلينوس
 ويهيم كوتقيوس بحب أوفيلينا
 فالأول متّيم بحب الشقيق
 والثاني متّيم بحب الشقيقة
 وكلاهما زهرة شباب فيرونا
 ومثل جميل للأخوة الصادرة

* * *

فمن منهما إذن أركّى
 طبعاً ، أنت يا كاليوس
 فما أروع صداقتك لي
 وما كان أندرها
 يوم اضطربت في أحشائي
 نار متأججة ولهب مستعر
 فليكن الحظ معك يا كاليوس
 وليكتب لك التوفيق في كل حب



جالوس شقيقان
 لأحدهما زوجة من أجمل النساء
 وللثاني صبي آية في البهاء
 وجالوس هذا شهم رقيق

* * *

فإنه خير مساعد في طريق الحب للذئب
 يربط بين قلوب الأحبة
 فيفقد الفتاة المليحة
 إلى أحضان الفتى المليح

* * *

لكن ما أحق جالوس هذا
 ألا يرى أن له زوجة
 عندما يلقي ابن الأخت
 كيف يغتصب زوجة الخال؟

* * *

بيد أن ما يكدرني الآن
 أن يكون ذاك البصاق القذر
 الذي في فمك النجس

قد لمس الشفاة الطاهرة

لفتاة حرة طاهرة

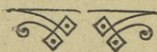
ويحك ! فلن يتم هذا بلا عقاب
فستعرف أمرك جميع الأجيال
كما أن شائعات العجائز
ستتخذ منك فريسة لأحاديثها



قد سمع جيلوس
ويا هول ما سمع
سمع أن عمه
قد تعود أن يزجر
كل من ينغمس في الشهوات
أو حتى يتحدث عنها

* * *

وليتجنب جيلوس هذا الزجر
اغتصب زوجة ذاك العم
وهكذا صيره في ملح البصر
أخرس كالتمثال لا يتكلم
ومن ثم صار يفعل ما يشتهي
حتى ولو سمحت نفسه يومًا
بهتك عرض عمه
لما اعترض الأخير
ولما فاه بينت شفة



يقول سبتيميوس

وقد احتضن في ذراعيه

حبيبته أكمى

«أى أكمى ، أى حبيبتى ،

إن لم أتفان فى حبك

وإن لم أكن مستعداً أبداً

لأن أمضى فى حبك

طوال سنى حياتى بلا انقطاع

كأقصى ما يكون من الحب عمقا

فليقابلنى وحيداً فى ليبيا

أو فى بلاد الهند المحرقة

أسد مكشّر أخضر العينين»

وما أن قال ذا الكلاما

حتى سعط الحب شمالا

كما سبق أن سعط يمينا

مؤيداً صدق كلامه

وداعياً بأطيب الأمانى

عندئذ أمالت أكمى رأسها

وألقت بها قليلا للوراء

وقبلت بفمها الوردى ذاك

عيون حبيبها الجميلة السابحة
ثم قالت له وهى هكذا

« إذن يا سبتيميوس ،
يا حياتى وقرّة عيني
هل لنا أن نخلص لهذا السيد
ولا نخلص لأحد سواه
أبدأ إلى مدى الحياة
لأن فى نخاعى المنصرم
نار الحب قَسَمًا تضطرم
أعظم وهجاً وأشدّ لظى »

وما إن قلت ذا الكلاما
حتى سعط الحب عن يمين
كما سبق أن سعط عن شمال
مؤيداً صدق كلامها
وداعياً بأطيب الأمانى

والآن بعد ذا الفأل الحسن
عاشا معاً فى هناء ورغد
متحدّين قلبا وقالبا
يرتشفان كسوس الحب مترعة

وسبتيميوس المسكين في هواء
لا يفضل على سائر السوريين
ولا على البريطانيين أجمعين
غير أكمى العريضة وحدها

وأكمى المخلصة بدورها
لا تشبع لظى جبهها
أو نهم ملذاتها
إلا مع سبتيميوس
ولا أحد غير سبتيميوس
فمن رأى في عمره
أناساً أسعد منهما ؟
ومن رأى أبداً
جهاً أسعد من جبهما ؟



تعديني يا حياتي
 بأن يكون حبنا سعيداً
 وبأن يدوم فيما بيننا
 خالصاً إلى الأبد في عمرنا

* * *

فيأتيها الآلهة العظيمة
 امنحها القدرة الكاملة
 على البر بعهدنا
 فتكون فيه من الصادقات قولاً
 ومن المخلصات قلباً وقالها

* * *

فيكون من حظنا
 دوام هذا الرباط الأزلي
 من الصداقة المقدسة
 طوال أيام حياتنا



إِسْثِيلَا الْفَاتِنَةُ
 أَيَّ حَبِيبَتِي الْمَعْبُودَةِ

ومصدر هَناءَتي المنشودة
 لكم أَشْتَهِي أَنْ أَتَلَقَّ أَمْرًا
 منك بالحضور فوراً
 فأحظى بقربك مُظْهِراً

* * *

فلئن سمحت لي بهذا
 فهل لذا العطف أَنْ يحظى
 بعطف آخر لمحب يتلظى
 فلا يصدني أمام عتبة دارك
 معترض ولا عزول حاقق
 ولا يستهويك أبداً لتخرجني
 مَمِيلٌ ولا أمر من الأمور
 حتى تظلي دائماً في منزلك

* * *

فلو سمحت وأذنت بالرضا
 وأمرتني لِإِسْتِغْنَاكِ أَنْ أحضرا
 تم هَناءُتي وبلغتُ أَقْصَى المَارْبَا

الباب السادس

مختارات من قصائد كاتولوس

١

لمن أهدى كتابي
وإنه الجديد جميل
وغلافه مصقول بالحجر الخفاف
منذ عهد قريب ؟
إليك يا كورنيليوس
يا من تقدر أعمالى
وتعتبر التافه منها
جدير بأعظم التقدير
فمن زمن بعيد
يوم واثتك الشجاعة
من دون سائر الإيطاليين
أن تستعرض فى مجلدات ثلاثة
تاريخ العالم كله
فكانت ، وحق چوبيتر
موسوعات مثقفة
آية فى دقة الصنع

والآن أهدي إليك هذا الكُتُب
راجياً قبوله على علاته
أيّاً كانت قيمته
واحفظ به لنفسك
ويا عذرائي ، يا نصيرتي
ليت كتابي هذا يعيش
ليته يدوم جيلاً وأكثر من جيل



عزيزى فابولوس
 إنك بعد أيام قلائل
 ستحظى بوليمة عظيمة
 لو باركتك الآلهة
 فلئن جلبت معك من الطعام
 مقداراً طيباً وفيراً
 ولم تَفُتْكَ الفتاة الجميلة
 ولا الخمر ولا الدعابة
 ولا جميع ما يبهج القلوب
 فلو جئتنا يا صديقى اللطيف
 بكل ما طلبتُ منك
 لحظيتُ معنا بوليمة طيبة
 فكاتولوس مفلس خاوى الوفاض
 نسيج الغنكبوت خيوطه فى كيسه
 مطمئناً ، وقد عفا على الكيس الزمان
 بيد أنك ستحصل منى
 مقابل هذه الأشياء
 على حب طاهر نقى
 أو ما هو أحلى من الحب وأبهى

فلسوف أعطيك عطراً
تكرمت به على حبيبتى
إلهة الحب والجمال
وهو عطر لو شمته
تمنيت يا فابولوس
وطلبت من الآلهة
أن تمسخك منخاراً فحسب



أَيُّ فِيرَانِيُوسِ
يَا مَنْ أَوْثَرَهُ وَحْدَهُ
عَلَى ثَلَاثَةِ أَلْفِ صَدِيقٍ
هَمْ جَمِيعِ أَصْدِقَائِي

* * *

هَلْ عَدْتَ حَقّاً إِلَى بَيْتِكَ
وإِلَى آلِهَةِ مَنْزِلِكَ
وإِلَى أَشْقَائِكَ الْمَحْبُوبِينَ
وإِلَى وَالدَتِكَ الْعَجُوزِ ؟

* * *

هَأَنْتَ إِذَا قَدْ عَدْتَ
فِيَالَهُ مِنْ نَبَأٍ تَبْتَهِجُ لَهُ نَفْسِي
وَكَمْ يَكُنْ سِرُورِي عَظِيماً
عِنْدَ مَا أَرَاكَ سَالِماً
وَأَصْغِي إِلَى صَوْتِكَ الْعَذْبِ
وَأَنْتَ تَتَحَدَّثُ عَنْ رِحْلَاتِكَ
وَعَنْ مَخَاطِرَاتِكَ وَمَغَامِرَاتِكَ
وَعَنْ قِبَائِلِ الْهَيْبِيرِيِّينَ

كما عودتنا دائماً

* * *

وسأطوق عنقك بذراعي
وأقبل فمك وعيونك النجلاء
وينجي من ذا الذي يفوقني
في سعادتي وهنائي
من بين جميع المستمتعين
بقسط أوفر من السعادة؟



يا أبرع نسل رومولوس
 الأحياء منهم أجمعين
 وجميع الذين ماتوا
 وكل من سيحيا بعد ذلك
 في السنوات المقبلة

* * *

أى ماركوس توليوس
 إليك يقدم الشكر الحار
 كاتولوس أسوأ جميع الشعراء
 فبقدر ما هو أسوأهم قاطبةً
 فإنك خير المحامين أجمعين



دهاك يا كاتولوس ؟
 لماذا لم لا تعجل بالموت ؟

إن نونيوس ستروما
 متقعمس في مقعد القناصل
 وقاتينيوس يتقسيم بقنصليته
 ماذا دهاك يا كاتولوس ؟
 لم لا تستعجل الموت ؟



أضحكني في التو والحين
 شخص من بين الجماهير
 فعندما وجهه كالقوس العزيز
 اتهمه ضد فائنيوس
 بأسلوب رائع بليغ
 رفع ذاك أنمله
 وصاح في دهشة المتعجب
 « أيتها الآلهة العظيمة
 ياله من قزم فصيح ! »



أَي كَاتُو ، أَيَا كَاتُو
يَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ سَخِيفٍ مَضْحَكٍ

جَدِيرٌ بَأَنْ تَسْمَعَهُ فَيَضْحَكُ !

فَلْتَضْحَكَنَّ مَلَأْ شَدِيقَكَ يَا كَاتُو

وَبِالْقَدْرِ الَّذِي بِهِ تَحِبُّ كَاتُولُوسَ

فَالْأَمْرَ غَايَةً فِي السَّخَافَةِ

وَمُثِيرٍ لِلضَّحْكِ جَدًّا



أعتذر يا جيلوس
 مكي أفسر السبب

في أن شفاهك الوردية
 تبيض حتى تصير
 أنصع من الثلج
 كلها استيقظت في الصباح
 أو حانت الساعة الثامنة
 فأيقظتْك من قيلولتك
 في ساعات النهار الطويلة ؟
 لابد أن في الأمر شيء
 فهل حقيقة ما يشاع
 من انغماسك في الرذيلة ؟
 فمن الأكيد إذن أن الأمر هكذا
 والظواهر كلها تؤيد ذلك



تستطع يا جوفتيوس
 ألم أن تجد وسط جموع الناس هذه

صديقاً يروق جماله ناظر كـ

إلى جانب صديقك هذا

القادم من منطقة يزاوروم الموبوءة

والذي يزيد لونه شحوباً

عن تمثال مذهب

والذي تعزّه الآن وتؤثره

وتزعم أنك تفضّله على

وتتجاهل أي جرم تقترف ؟



لا تحدوني ، يا قيصر
أى رغبة جاحقة

فى أن أدخل السرور إلى قلبك
ولا أن أعرف أو أعلم
إن كنت أبيض البشرة
أم أسودها ؟



لو أن القبر الصامت
يشعر بالسرور واللذة

من جراء حزننا يا كالقوس

ذلك الحزن والأسى

الذى نحیی به حینا القديم

ونجدده مرة أخرى

وبكائنا الشديد يا كالقوس

على الصداقة الطويلة المفقودة

فلا ريب أن حزن كوينتيليا

على موتها المبكر

أقل من غطتها بحبك لها

•



آن الأوان لآقي إليك
 بعد طول التجوال في مدن كثيرة
 وعناء الأسفار في بحار عديدة
 اليوم آتى لأودعك الوداع الأخير
 وأحضر مراسيمك الجنائزية
 التي تحزن النفس وتهز كيانه المرء
 فأقدم آخر هدية لك مني
 وأخاطب رفاتك الصامته
 دون أن أتلقى جواباً لحديثي
 إذ اختطفتك يد المنون
 فيا لهفي عليك أيها الشقيق المسكين
 يا من سلبت مني وشيكا
 بهذه الصورة القاسية
 والآن فلتقبلني مني
 هديتي هذه ، التي بلّلتها
 وخضبتها دموع أخوية حارة
 فقد عودنا أباًؤنا
 أن نقدمها هديةً جنائزية
 لتعبّر عن حزننا وعميق المناس
 سلام عليك يا أخي
 ثم وداعاً إلى الأبد .

يكافح ميتولا محاولاً
 تسلق جبل پيليوس
 ولكن ربات الفن والشعر
 يطرده من فوقه بالمداري



يرى المرء فتي جميلا
 لو في صحبة تاجر المزاد
 فماذا يظن المرء سوى
 أنه يريد بيع نفسه ؟



لو أن شيخوختك الشهباء
يا كوميديوس

التي لوئتها حياة الدنس

يُكتب لها الموت

بمحض اختيار البشر

فلمست أشك من جانبي

في أن لسانك عدو جميع الأخيار

سيُقطع أولاً وقبل كل شيء

ثم يُلقى به سريعاً

إلى نسر جائع منهم

أما عيونك فسوف تنزع

ليلتهمها الغراب في بلعومه الأسود

بينما تنهش الكلاب أحشاءك

والذئاب باقى أعضائك



رفاقي ، وضيو في
يقول ذلك الزورق
الواقف أمام عيونكم
إنه كانه أسرع السفن
وإن سرعته الفائقة
قد عجزت عن قهرها
كل خشبة طافية
سواء أبحر بالشرع أو بالمجذاف

* * *

ويقول زورقي إن هذه الحقيقة
لا يمكن بأى حال نكرانها
فلا شاطئ البحر إلا دریاقى الصاخب
ولا جزر كيكلاديس
ولا رودس الشهيرة
ولا پروونتيس التراقي المتوحش
ولا خليج بونتس الكئيب
تستطيع نكران هذه الحقيقة

* * *

وزورقي قبل أن يصبح زورقاً
كان حفنة من الأشجار المورقة
وهناك فوق قمة كوتوريس
كثيراً ما كان يبعث حفيفه

بأوراق أشجاره المتكلمة

فيا أماستريس البنطية
ويا كوتوريس حاملة الأشجار
إن هذا الزورق يقول
إنكما عرفتما هذه الأنباء
وما زلتما تعرفانها جيدا

ويقول زورقي إنه قد وقف
فوق قتلك منذ نشأته
وغمس مجاذيفه في بحرك
ثم حمل سيده وأبحر به
عبر بحار عديدة صاحبة
سواء هبَّ النسيم
عن شمال أو يمين
أو هبت على جانبي الشراع
ريح هادئة مواتية

ويقول زورقي إن النذور
لم تُقَدِّم قط من أجله

لأرباب الشاطئ والهة
يوم عاد لآخر مرة
من جولاته البحرية
مباشرة إلى هذه البحيرة الصافية

* * *

ولكن حدث هذا في الماضي
وزورقي يقضي الآن شيخوخته
في عزلة مريحة
واهياً نفسه لك
يا كاستور التوأم
ولك يا توأم كاستور



أى سيرميو
 أى درة أشباه الجزر
 بل ودرة الجزر قاطبة
 سواء فى بحيرات نيتون الصافية
 أو فى بحره الفسيح
 ما أسعدنى وما أبهجنى
 إذ أعود لزيارتك مرة أخرى
 غير مصدق أبدا
 أنتى قد غادرت ثونيا
 والسهول الپيشونية
 وأنتى أراك ثانية فى سلام

* * *

فأى شىء أكثر غبطة للسر
 من أن تزاح عن قلبه الهموم؟
 يوم يلتقى العقل عن كواهله
 عبء الأثقال والهموم
 يوم نعود إلى بيتنا
 مرهقين من عناء السفر
 ثم نستلقى على الفراش
 الذى طال حنيننا إليه
 إن هذه اللحظة وحدها
 لخير مشوبة حقاً

لمثل الآلام الجسيمة
التي تكبدناها في حياتنا
فرحاً بك يا سيرميو الساحرة
ومرحى بعودة سيدك
وأنت ، يا أمواج البحيرة اللودية
فلتفرحي أيضاً وتهللي
ولتتعمي بكل ما في بيتنا
من وسائل اللهو والضحك .



پوركيوس وسوكراتيون
 أَيْ يا يدى بيسو اليُسْرَيْنِ
 يا محض الوباء والقحط

* * *

أحقاً أن پرياپوس
 ذلك الرجل البذىء
 قد أثر كما على فيرانيس وفابولوس
 وكلاهما عزيز على؟

* * *

أحقاً أنكما تنفقان المال
 ذات اليمين وذات الشمال
 وتقيمان الولائم الفاخرة
 الخافلة بكل ما لذ وطاب
 وتسرفان فى تكاليفها الباهظة
 جهراً وفى وضوح النهار؟

* * *

بينما على أصدقائى الأعزاء
 أن يهيموا فى الطرقات
 بحثاً عن وليمة تهدر مقهم؟

هيا كور نيفيكوس، إن كاتولوس
لمريض يشكو السقم
وعلته تشمتد سوءاً
أضعافاً مضاعفة

كلها مر يوم
وكلها انقضت ساعة
بيد أنك لم تسر عني بكلمة واحدة
تشد بها إزري إبان مرضي
مع أنها لن تكلفك شيئاً
أو تستنفد منك جهداً
لذا تأثرت منك كثيراً
فما هكذا يعامل الصديق صديقه
وحبيبه وعزيزه وشقيقه
إذن فلتمنحنى من الألفاظ
ما يسرى عني همومي
وأجد فيه عزائي
وما قد يشير أشجاني
التي أثارها دموع سيمونيديس.



أَيْ أَسِينُوسَ مَارْ وَ كِينُوسَ
 إِنَّكَ لَا تَجِدُ اسْتِخْدَامَ يَسْرَافِ
 فَتَنْتَهِزُ فِرْصَةً ضَحْكُنَا وَ ثَمُولَنَا
 وَ تَسْحَبُ مِنَ الْغَافِلِينَ مَشْوَ شَاتِهِمْ
 أَتُظَنُّ أَنَّ هَذَا مُزَاحٌ مَقْبُولٌ؟

✻ ✻ ✻

إنك لمخطيء أيها الأحمق
ويا لها من عادة قبيحة سيئة
يوصم ذوقك بالجدب والسقم !
ولو خامرتك ربيبة في قولي
فلتصدق أخاك پوليو
الذي يسره أن تقدّر السرقات
على قدر جميع المواهب بأسرها

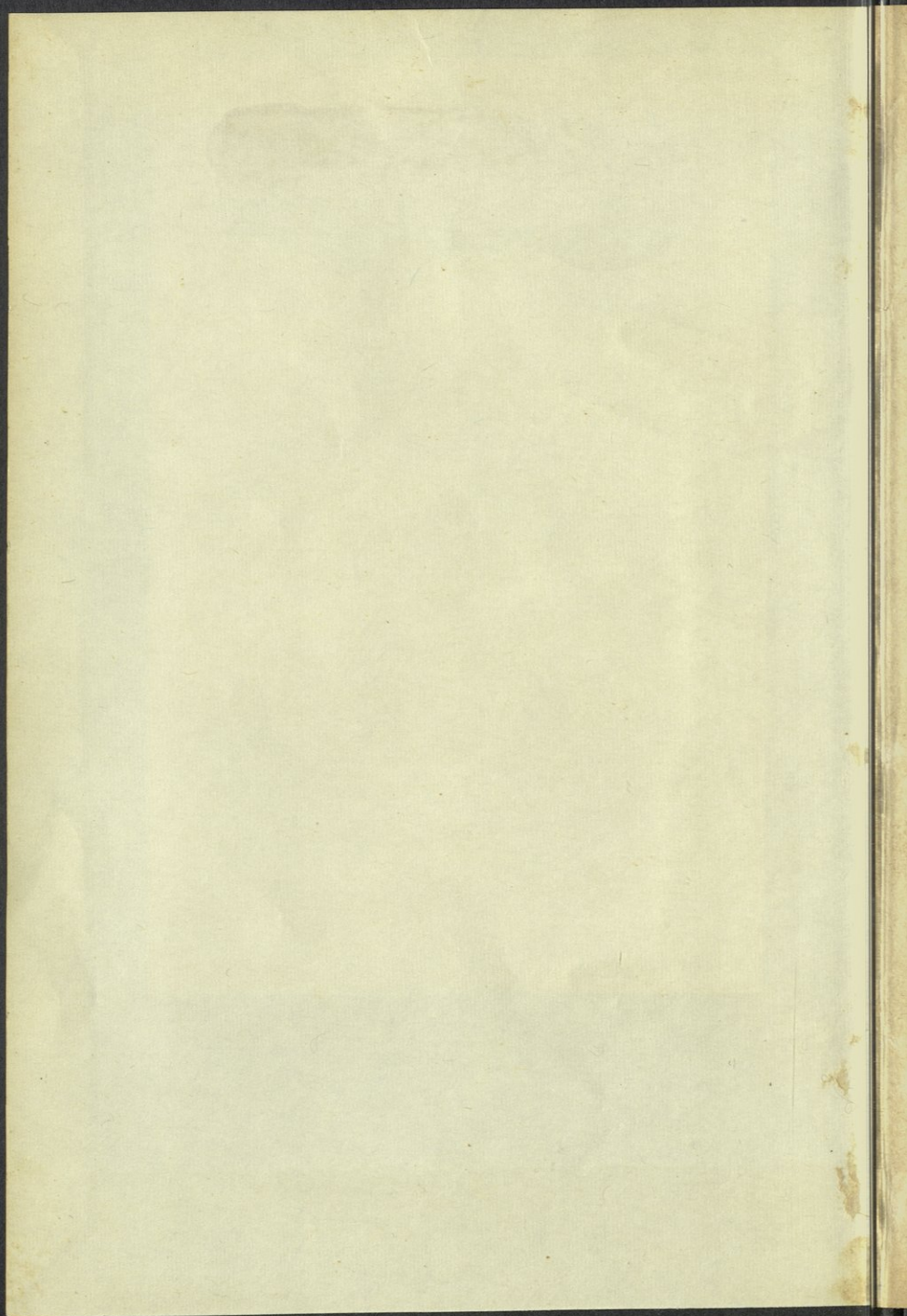
✧ ✧ ✧

فرغم كونه لا يزال صبيًا
إلا أنه مُسلمٌ بدنياً المزاج والطرب
فعليك إذن أن تبحث الآن
عن ثلثمائة بيت من الشعر

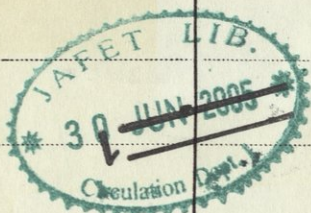
من الوزن الحادى عشر
أو أن تعيد إلى مشوشى
الذى لا يهمنى من أمره
سوى أنه هدية صديق قديم

ففابولوس وفيرانىوس
قد بعثا إلى من هيرىا
بهديّة من المشوشات الساتىايّة
فكيف يمكنى ألا أعتز بها
اعتزأى بفيرانىوس وفابولوس ؟





DATE DUE



A.U.B. LIBRARY

874.2:C369gA:c.1

سلامة ، امين

غراميات كاتولوس فطحل شعراء الغزل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01063790

874.2:C369gA

كاتولوس ، غايوس فاليريوس •

874.2

C369gA

